

مسرحيات عاطية

فلاسف كما أراه

تأليف: پول قاليري
ترجمة وتقديم: عبدالعاطي جلال



المسرح العالمي

سلسلة مسرحيات عالمية

تصدر بإشراف

لجنة المسرح العالمي

أعضاء لجنة المسرح العالمي

أحمد عباس صالح

محمد غيث

د. ريمون فرنسيس

عبد الحكيم سرور

د. عبد الرحمن بدوي

د. عبد العزيز الأحمدي

د. عبد الغفار مكاوي

د. عطية محمد حسين هيك

د. محمد إسماعيل المواق

د. محمد سمير عبد الحميد

د. محمد غنيمي هلال

د. محمد محمود السلاوي

أشرف المسعود

د. محمد إسماعيل المواق

مقر الإدارة :

١٨ شارع حسين حجازي

بريد مجلس الأمة

القاهرة

مسرحيات عالمية

فناويست كما أراه

نصف شهرية

تأليف : بيول وشاليري
ترجمة وتقديم : عبد العاطي جلال

أقرتها اللجنة المسرح العالمي

المسرح العالمي
هيئة الاذاعة والمسرح والموسيقى
الدار القومية للطباعة والنشر
الثمنافة والإرشاد المتوي

فناوست

کما از آه

تألیف : پپول و شالیری
ترجمہ و تقدیم : عبدالعاطی جلال

شكر وتثويه

اقتطع من وقته الثمين في قراءة النص العربي لهذه
المسرحية ، قبل أن تشق طريقها الى الطبعة ، نخبة من
الاساتذة الافاضل ، اخص منهم بالذكر والشكر :

الاستاذ احمد عباس صالح

الاستاذ عبد الحكيم سرور

الدكتور عبد العزيز الاهواني

الدكتور محمد اسماعيل موالى

كما تفصل مشكورا وطابق النص العربي على الاصل

الفرنسي حرفيا الزميل الاستاذ يحيى سعد ،

عبد العاطي جلال

مقدمة

يقدم: عبدالمعالي هلال

فاوست

فاوست ... فاوست ... فاوست . ما أن يتردد هذا الاسم حتى تتراءى للعين ذكرى رقصات مارجريت وبيرتا (١) ومارتا في باليه فاوست، وحنى تفيض في السمع موسيقى فاجنر وليست وجونو . نعم .. فاوست ، تلك الشخصية الاسطورية التي شغلت أذهان المفكرين والفنانين لأنها تعبر عن مأساة الانسان في حياته وما بعد موته ، وتفتح أمام الذهن آفاقاً متسعة للبحث ومحاولة الكشف عن الأسرار المغلقة التي يقف العقل أمامها في النهاية حائراً عاجزاً .

لقد كانت خرافة فاوست خرافة عتيقة قبل أن تتبلور في الحكايات التي اجتمعت حول شخصية رجل يقال له الدكتور جوهان فاوست من وتمبرج بألمانيا في أوائل القرن السادس عشر . ويبدو أن هذا الرجل كان ساحراً عرافاً ومنجماً ذكياً يدعى لنفسه استحضر الأرواح واستعادة المخطوطات الضائعة التي ألفها الكتاب القدامى . وانتهى الأمر بهذا الرجل إلى أن باع نفسه للشيطان

(١) فاوست : باليه من ثلاثة فصول وضع موسيقاه بانيتزا وسوم وقصاه جول بيروت .

واختفى عن الأعين إلى غير رجعة في ظروف غامضة . ومنذ ذلك الوقت بدأت تظهر عنه وعن تلميذه كرسطوفرفاجنر حكايات تلقفتها ألمانيا وإنجلترا في نهاية القرن السادس عشر دون أن يعرف مصدر مؤلفيها وظهرت أول قصة منشورة عن هذا الرجل في إنجلترا سنة ١٥٩٢ ، ويبدو أن مارلو الكاتب الدرامي الانجليزي اعتمد عليها اعتماداً كلياً في كتابة مسرحيته بهذا الإبنم . غير أن أعظم عمل درامي لهذه القصة يعتد به هو مسرحية فاوست الشعرية التي كتبها جيته (١٧٤٩ - ١٨٢٢) في جزأين ، أظهر الجزء الأول منها في سنة ١٨٠٨ ، فأهدى جيته بهذا العمل الأدبي إلى عالم بداية القرن التاسع عشر أعظم مأساة شعرية عرفها عصر الخيال والحب والحرية والانطلاق ، عصر بابلون وشيلي وشاتوبريان وشيلر وهابتي وشوبنهاور وأخيراً عصر بيتهوفن العظيم ، ظهرت فاوست منة ١٨٠٨ بذلك (٢) الحوار الذي يدور بين الخالق جل شأنه وميفيستوفيليس الشيطان في السماء ، وهي مقدمة تتضمن طبيعة ذلك الصراع الأزلي بين الخير والشر وقضية الجرية والاختيار والقدرة ، وما إذا كان من حق فاوست الذي يمثل روح الإنسان أن يترك نفسه يتفاد إلى الشيطان ، روح الشر أم يترك الأمر في هذا إلى الله وحده يصرفه حسب مشيئته .

ميفيستوفيليس : إله الأرض لا يزال هو هو منذ أول الخليفة يؤدي دوره ، بشكل مرضي ... لكن كثيراً ما لا يحسن استخدام هذا القيس المقدس الذي يسميه العقل والذي أصبحت قائدة الوحيدة عنده إضافة شرور إلى شروره والتحقير من شأنك وتشبيهاك بأخط الحيوانات ... وهو في نظري يشبه - مع احترامي الشديد لعظمتك - تلك الحشرات .

الطويلة السيقان التي تُنتقل من مزرعة إلى مزرعة ومضى غابة إلى غابة تؤذى دائماً نفس الرقصة وتغنى نفس الأغنية... ره.. ما أشبهه بهذه الحيوانات... يريد وجه كل شيء مبعداً وجهك.. وفضلاً عن ذلك يزج بأنفه في كل ما هو مقزز.

المخالف : أليس لديك شيء آخر تقوله لي ؟ : ألا تأتي هنا إلا لكي تغتاب .. ؟ ثم ألا يوجد أبداً غير الشرف في الأرض ؟

ميفيستوفيليس : نعم يا إلهي .. كل شيء على الأرض يسير من سيء إلى أسوأ .. وخلقك أصبحوا اليوم في نهاية البؤس ... إن ضميري ليؤنبني على تعذيب هؤلاء البؤساء .

المخالف : هل تعرف فاوست ؟

ميفيستوفيليس : الدكتور ؟

المخالف : إنه عبدى .

ميفيستوفيليس : نعم .. إنه يخدمك في الحقيقة بطريقة عجيبة . لا يشتم فيه أي شيء دنيوى ، لا أفعاله ولا أبحاثه ... وروحه دائماً تسبح في عالم وهمي ... يدعى بأنه أنخم من ملاذ الأرض ويرغب في هتك حجب السماء والطبيعة . لا شيء على الأرض يشبع رغباته ..

المخالف : على الرغم من أنه مشوش بهذا الشكل ، فإنه لا يزال يؤمن بي ... وفي استطاعتي أن أُنقذه السعادة التي يريجوها .. إذ في الشجرة التي تبدأ في الاخضرار ،

يرى البستاني الحكيم ورود سنوات السعادة المقبلة وأثمارها .

ميفيستوفيليس : أراهنك سوف تفقده مادمت بعده من الصالحين .. لكن كيف ومتى ، دغ هذا لي واعطني حرية التصرف .

الخالق : نعم .. أرغب جيداً في تركه لك طوال حياته .

ميفيستوفيليس : حمدا لك .. أنا على أية حال لا أحب التعامل مع الأموات ..
الإنسان الحي هو شغلي الشاغل الوحيد .. أنا كالمقطب أحب
صيدى حياً لا ميتاً...

الخالق : عظيم .. تستطيع أن تتدبر أمرك .. قدته إلى مسجن تهديك
وتأديبك .. انزع هذه الروح من ينبوعها العلوي (١) ..
لكن لو أضعت الصفقة ، فليحمر وجهك خجلاً وأنت
تري رجلاً استطاع أن يسلك الطريق القويم بعد ضلالة.

ميفيستوفيليس : أنا لا أخشى من ضياع رهائي ... ولو استطعت في النهاية
اغراءه فلا بد أن أفخر بانتصاري ... ولizard ابن آدم
التراب مثل ابن عمي الثعبان (٢) ..

الخالق : اذهب يا بني نفذ مهمتك .. ان كراهيتي لك أقل من
كراهيتي لبقية الشياطين .. ان نشاط الإنسان معرض
للتوقف ، ولكي أحفره فائتي في حاجة الى عنايتك ..
ان عظمتكم يا أبناء السماء من عظمي ... اذهبوا بفضل

(١) يقصد ما هو متصل بالله عز وجل في الإنسان ، وهو في امتقادي يقصد
الروح هنا .

(٢) الثعبان هو مفضل آدم وحواء في القردوس ، فلا فحابة أن يكون
بينه وبين الشيطان أو أصر قريب .

هذه العظمة واستمتعوا مع بعضكم .. قاله الذى خلقكم
يحبيكم دائما ... احتفلوا بفضل افكاركم بكثير من العجائب
المكسدة الى حباكم الله بها .

ان ميفيستوفيليس يعترف بانه « الروح التى تنكر ولا تؤمن أبدا » لكنه
كجزء من القوى التى ترتكب الشر يخلق فى الوقت نفسه الخير . وهذا يذكرنا
بان جيته فى شبابه خاضع الزنادقة لانه لم يوافقهم على اعتناق مبادئ وآراء
من شأنها ان تهدد طبيعة الوجود الانسانى ، رغم ان جيته لم يترك لذة من
ملاذ الارض الا وعب منها . وكان زير نساء لا يشق له غبار حتى ان اندريه
جيد فى مقدمته التى صدر بها مجموعة اعماله الادبية التى نقلها الى اللغة الفرنسية
جماعة من اعظم الادباء والمترجمين نذكر منهم بوجه خاص جيرار
دى نرفال ، يقول ان سر عبقريته يكمن فى اتصاله بالنساء والاستمتاع
بجهالهن . كان ينتقل من امرأة الى امرأة ومن فتاة الى أخرى حتى أنه لم يتورع
عن الاقتران بفتاة ريفية كانت تعمل فى حان . وان مجرد استعراض قائمة
هؤلاء النسوة اللاتى تزخر باسمائهن حياة جيته يدل على شغف هذا الرجل
بهن ، لدرجة ان علاقاته هذه الفت فيها كتب عدة . ومع هذا فان حوادث
هذه المغامرات العاطفية لم تقصم ظهره ، بل ازدهر بها عقله . وقد سادت
فاوست وجهة النظر المتفائلة التى لها دون شك اتصال وثيق بالنظريات
اللاهوتية التقليدية والتى تقول بأن رغبة الروح التى لاتشبعها لذة ما هى
الا استغاثة برحمة الله . ولهذا نجد أن فاوست بعد يأسه من ظهور روح الارض
حاول الانتحار ، لكن دقائق الاجراس وانشاد نشيد صباح يوم عيد الفصح
ذكره بايمان طفولته الذى أوحى اليه بالقاء السم .

. والجزء الثانى من فاوست فلسفى عميق لا يهم الا الذين يعنون بتتبع أفكار

جيته ورموزه . فمثلا نجد أن جيته يرمز الى التحام العقلية الالمانية بالاغريقية في ترويجيه فاوست من هيلين (١) أجمل بنات عصرها وانجابهما طفلا اسمه بوفوريون الذى يرمز بدوره الى ولادة الشعر الحديث بشطحاته الى كان يعد بايرون ابلغ نموذج لها في نظر جيته .

لقد أراد جيته من معالجته لخرافة فاوست أن يتخذها اداة لمسرحية الانفعالات المنبعثة من الرغبات المتصارعة فى النفس الانسانية من حيث عزوفها عن الحياة أو التمسك باهدابها . وقطب الرحى الى تدور حوله هذه المأساة هو أنه يجب على الانسان أن يكون له من الشجاعة ما يواجه به الحياة بوصفها مغامرة من المغامرات وأن يطلق فيها جميع إمكانياته كاملة لكي يتطور تطورا كاملا . ولنا من حياة جيته أعظم مثل على هذا الانطلاق .

كان جيته هو الشاعر الدرامى الثانى الذى استغل هذه القصة ليبنى عليها عملا دراميا متكاملا . فقد سبقه الى ذلك بما يقرب من مائتى سنة أو تزيد شاب انجليزى جرىء غريب الاطوار يدعى مارلو كانت له سلسلة من المغامرات أودت آخر الأمر بحياته . ان معرفتنا للمواهب التى ازدهرت فى العصر الإليزابى الذى كان مارلو هذا ثمرة من ثمراته لا تزال قاصرة حتى الآن رغم الدراسات التى حاول فيها كاتبوها لقاء الضوء على تلك الفترة الحسنية التى كان من ثمارها أيضا شكسبير وكيد (٢) وجرين وناش ولبلى وشامبان وييل ولودج ومارلو آخر الامر . هؤلاء السبعة الذين أثروا

(١) هى هيلين الجميلة اليونانية زوجة مينيلاس التى اختطفها باريس وكانت سببا فى قيام حرب طروادة بين الطرواديين والاغريق .

(٢) Shakespeare, Kyd, Greene, Nash, Lyly, Chapman, Peele, Marlowe.

الحقل للدرامى بانتاجهم الذى لم يصلنا منه غير النذر اليسير اذا استثنينا شكسبير العظيم . وتاريخ حياة مارلو بوجه خاص والذى اعتراه التبديل والتغير الى أن أستقر ووضح فى النهاية ، يلقى ضوءا على ذلك العصر ، عصر القرن السادس عشر فى التاريخ الانجليزى .

فى اليوم الاول من شهر يونيه سنة ١٥٩٣ استدعى قاضى الضبطية الانجليزى Danby ستة عشر عضوا للانعقاد فى هيئة محلفين فى ديبفورد Deptford قريبا من جرينويتش Greenwich كى يحققوا فى مقتل كريستوفر مارلو الذى قتله فرانسيس فرايزر Francis Friser واسمه الحقيقى إنجرام Ingram وقد وجد مارلو مقتولا فى اليوم السابق فى إحدى الحانات بطعنة خنجر نفذت الى جمجمته فوق العين اليمنى . ولم يكن جرحه نافذا بقدر كاف ، غير أن موته كان فوريا . وقد ثبت أن مارلو وفرايزر يومئذ هما اثنان من الزملاء تشاجروا مع بعضهم على من يدفع الحساب بعد أن تناولوا طعام غداشهم دون أن يكون قد وصل أحدهم الى درجة السكر . فما لبث فرايزر أن انتزع خنجر مارلو الذى استفزه وطعنه تلك الطعنة النجلاء التى أودت بحياته . ومن الغريب أن ينتهى التحقيق فى هذه القضية بأن فرايزر حينما طعن مارلو كان فى حالة دفاع شرعى عن النفس . كانت سن مارلو حينما توفى التاسعة والعشرين ، وكان فى هذه السن من أكبر الكتاب الدراميين الانجليز فى تلك الفترة . ان كثيرا من تفاصيل هذه القصة التى تبدو بسيطة جدا لغير المتأمل لا تزال غامضة أو مشوهة ، لان محضر التحقيق الذى لم يكتشف الا فى عام ١٩٥٢ أى بعد ثلاثمائة واثنين وثلاثين سنة من مقتله لم يكن واضحا . كما ان بعض ماورد فيه يحتمل كثيرا من التأويل . وعلى أية حال فان هذه الوثيقة تلقى ضوءا كاشفا على بعض جوانب

الحياة في عصر النهضة الاليزية . لقد كان من بين الثلاثة الذين أكلوا مع مارلو واحد يدعى روبرت بولي (١) يعمل جاسوسا وينتمي الى ادارة المخابرات التي يديرها الوزير سير فرانسيس (٢) ولسنجهام . وقد قام باعمال هامة ومربية في مناسبات عدة وكان من عادته اصدار احكام خاطئة لاتستند الى الصنحة . أما سكيرز (٣) وفرايزر الآخرا ففقد كانا شخصين متحرفين غير جديرين بالثقة . حقيقة أن مارلو كان عضوا في جهاز المخابرات السرية ذلك ، لكن ماذا عن ماضيه ؟

ولد كريستوفر مارلو في كاتربري عام ١٥٦٤ من أب حذاء يحترمه أهل بلده . لكننا لا نعرف شيئا عن طفولته . أما فترة صباه منذ بلوغه الخامسة عشرة من العمر فمعروفة اثبتها مؤرخو تاريخ أدب تلك الفترة . ففي تلك السن التحق بكلية كوريوس (٤) كريستي في كامبردج ، اتاحت له الالتحاق بها منحة مالية للدراسة ، تمهيدا لالحاقه بالكنيسة . غير أن نبوغ مارلو أهله للالتحاق بالجامعة خاصة بعد تبحره في الاعمال الادبية الكلاسيكية وانشائه قصائد من عيون الشعر . فقد ترجم قصائد أوفيد (٥) وجزءا من

(١) Robert Poley.

(٢) Sir Francis Walsingham Skeers.

(٣) Skeers.

(٤) Corpus Christi.

(٥) Publius Ovidius Naso « ٤٣ ق م - ١٦ م » شاعر لاتيني ولد في سلومونس مؤلف التحول وفن الحب ، اشتهر بعدوية شعره ووضوحه ، وكان صديقا لفرجيل وهوراس واستظل ثلاثهم بظل الامبراطور افسطس الروماني . ولكن هذه الرعاية لم تستمر حتى النهاية ، اذ نفى أوفيد في سنة ٩ ميلادية لسبب غير معروف الى تومي « كونستانزا حاليا » حيث توفي .

ملحمة لو كان (١) في فترة تراوجت فيها الثقافات القديمة وامترجت
ببرومانية الروح الانجليزية المتطورة . وهكذا أصبح مارلو كغيره من الكتاب
المعاصرين ، فيما عدا شكسبير ، إنسانيا معتذرا بزاد من أوفيد وفيرجيل
وغيرهما من الشعراء القدامى . وفي الوقت الذي كان فيه مارلو يعد العدة
للحصول على الليسانس ، ظهرت أمامه بعض الصعوبات التي أثارها السلطات
الجامعية ، وهي ان الطالب الذي كان مفروضا فيه البقاء دائما في كامبردج
تغيب عن الدراسة عدة اشهر . غير أن سلطة أعلى من سلطة الجامعة وهو
المجلس الخاص للتاج البريطاني تدخل في المسألة الى جانب مارلو وتوسط له
لدى الجامعة كي تمنحه الليسانس ذاكرا انه ، أي مارلو ، كان في كل أعماله
مثال الرزاة والحذر وقدم خدمات جليلة لجلالته ويستحق مكافأة على هذه
الخدمات .

ما هي اذن تلك الخدمات ؟

في سنة ١٥٨٧ أصدر البابا قرارا يقضي بحرمان الملكة اليزابيث من رحمة
الكنيسة فدبر الخيرون عدة مؤامرات لاغتيالها . ولما كانت ماري ستوارت
في ذلك الوقت سجين في انجلترا ، فقد كانت على علم بهذه المؤامرات ،
بل شاركت فيها باستهتار كانت نتيجة تلك الميثة الشنعاء التي ماتت فيها
حكم عليها بالاعدام . اذن كانت الملكة اليزابيث تواجه موتا مؤكدا وكان
ولسينجهام السالف الذكر يبذل أقصى الجهد كي يحول بين هذه الميثة
وبين الملكة . ولما كان مارلو احد الملحقين بخدمته فقد عهد اليه بجمع المعلومات

(١) Lucain « ٣٦ - ٦٥ م » شاعر لاتيني ولد في كوردو ، وهو
ابن أخ سينيكا الفيلسوف . ومن أهم أعماله الادبية تلك الملحمة التي تصف
الصراع بين بومبي ويوليوس قيصر والتي سميت باسم فارسال Pharsal
تلك الموقعة التي هزم فيها بومبي في تساليا ببلاد اليونان القديمة سنة ٤٨ ق.م

الخاصة هما يدور في أروقة كلية ريمز (١) حيث كون الجيزويت لهم فدائين مدربين . فسافر مارلو الى فرنسا والى ايطاليا أيضا حيث استغرقت مهمته عدة اشهر بعث خلالها بتقارير كان لها فضل في انقاذ رأس الملكة . وهذه الغيبة هي التي أخذتها عليه الجامعة حينما تقدم لنيل الليسانس . ويحتمل أن مارلو تعلم اللغتين الفرنسية والايطالية في موطنيهما الاصيلين نظرا لما كانت تتضمنه كتاباته من نصوص وعبارات بهاتين اللغتين . ومن الاكيد أيضا أنه تعرف في تلك الفترة على بعض المخبرين السريين الذين كان يلتقى بهم من وقت لآخر اثناء حياته ويوم موته .

وبمجرد أن حصل مارلو على الليسانس ، سافر الى لندن حيث لمع اسمه وهو لا يزال في الثالثة والعشرين من عمره . وفي لندن قدمت له أول مأساة شعرية تصويرية اسمها تامبورلين ذات مشاهد مفرعة تكاد تلحقها بالمليودراما لولا شاعرية نصها وسمو اسلوبها وسمو الفاظها وعاطفيتها . وكان مارلو أول شاعر درامى انجليزى استخدم الشعر المرسل بلاقافية ويتألف الشطر فيه من عشرة مقاطع في هذه المأساة . وقد استخدم هذا الشعر في خمسة فصول دون تناذل أو ضعف ، بل زاد على ذلك أنه استخدم هذه الطريقة في عشرة فصول حينما أضاف اليها، بعد النجاح الذى استقبلها به الجمهور ، جزءا لا يقل في سموه عن سابقه . وقد كان هذا الشعر شفيعا له في مأساة ذات حبكة تسير على وتيرة واحدة وتؤدي أحداثها نماذج بشرية مفرعة .

ثم فجأة نجد مارلو رهين سجن نيو جيت متهما مع شاعر تابع آخر اسمه توماس واطسون بمقتل رجل في شجار كان مارلو فيه هدف ذلك الرجل .

غير أن واطسون قتل المتهم . واطلق سراح مارلو بعد خمسة عشر يوما وأسفرت القضية عن براءة واطسون الذى اعتبر فى حالة دفاع شرعى عن النفس . كل هذا يبدو شاذا وغريبا من فئة مثقفة بلغت أوج مجدها ، لكنه ليس بغريب أو شاذ فى تلك الفترة . وأعجب من هذا كله أن مارلو ، كى يشغل نفسه أثناء إقامته فى السجن ، اختلط بجماعة من المزيفين علموه فنون تزييف النقود .

وعلى أية حال فبعد أن حصل مارلو على حريته وخرج من السجن ، استأنف نشاطه الدرامى فقدمت له على المسرح ، مسرحية يهودى مالطة ومذبحة باريس . والثانية مسرحية تاريخية معاصرة تركز أحداثها على فكرة مقتل هنرى الثالث فى مذبحة سانت بارتلمى فى باريس ، ثم أردف هذه المسرحية بمسرحية أدوارد الثانى وأخيرا الدكتور فاوستوس . وكل هذه المسرحيات كتبت ما بين سنتى ١٥٩٢ و ١٥٩٣ ، وتحمل نفس المزايا والمآخذ التى تحملها مسرحية تامبورلين حيث يختلط التاريخ بالسحر بالفرع بالشعر .

لقد حصل مارلو على النجاح الكبير ، لكن حياته كانت ذات مناح شتى فرضها ذلك العصر الالىزبى الغامض المتعدد الثقافات والمعتقدات . فمركز انجلترا السياسى كان لا يزال مزعزعا فى مواجهة دولة كاسبانيا رغم العاصفة الهوجاء التى أطاحت باسطول الارمادا الذى وجهته اسبانيا لضرب انجلترا انتقاما منها لمقتل مارى ستيوارت وللإطاحة بعرش الملكة اليزابيث . وكانت تلك الملكة ذاتها قد تقدمت فى السن واتسمت سياستها بالتخبط . عصر قلق مضطرب بات فيه ذلك المزيج الفكرى موضع جدل ونقاش . بل كثيرا ما أسلم الجدل حول القضايا الدينية الناس الى اليأس

أو الثورة ، فانتشرت الزندقة ومذاهب العقل ووظيفته الى غير ذلك من المذاهب والمعتقدات التي افرخت وتكاثرت في ذلك الجو الملبد بسحب الفكر . ومن ابرز المدارس الفكرية التي ظهرت آنذاك ، تلك المدرسة الليلية التي كان من أهم مؤسسيها سير والتر (١) رالي الشاعر والجندي المكتشف ، وأحب رجال بلاط الملكة اليزابيث اليها . كان رالي هذا منكرًا لا يؤمن بالدين تتلمذ على آراء ميكافيللي التي كانت تقليعة العصر في ذلك الوقت مرتبطًا بهذه الآراء مع ميكافيليين مثله من علية القوم ومثقفهم نذكر منهم سير فيليب سيدني دوق نورثامبرلاند (٢) والمركيز دي كاستيلينو (٣) سفير فرنسا وجيور داتوبرونو والعالم الرياضي هاريو . كما كانت تضم هذه المدرسة زمرة من الشعراء نذكر منهم جرین وشابمان ومارلو . واعتقد الناس ان تلك المدرسة بؤرة تنفث سموم الزندقة والالحاد ، وان مارلو التي ذات يوم محاضرة عن الزندقة في شيربورن (٤) ، قصر رالي . وكانت نتيجة ذلك أن حامت شكوك السلطات حول مارلو قوية ، وانبرت اصابع الاتهام تشير اليه . أضف الى كل هذا انه أصبح نجما لامعا في التأليف الدرامي وهجر الى الابد حياة الفاقة والعوز ، مما أثار حفاظ أقرانه الذين لا يزالون يواجهون مصاعب مالية لا تنتهي . فبدأوا يكيلون له التهم جزافا . وثمة ظاهرة اخرى في حياة مارلو كانت تعد تقيصة في ذلك العصر ، ألا وهي أنه أدمن التبغ الذي كان يجلبه رالي من خارج انجلترا . كما عرف عنه ميله الشاذ الى الصبية .

وهكذا اتاح مارلو فرصة ثمينة للحاقدين والشائنين والمنكرين لسلوكه ،

Sir Walter Raleigh. (١)

Northumberland. (٢)

Castelnaw. (٣)

Sherborne. (٤)

وأصبح قاب قوسين من الوقوع في قبضة العدالة . ومن أهم ما يذكر في صدد الخاقدين أن روبرت جرير الشاعر الرقيق اليوهيمي نشر كتابا قبيل وفاته يعد وثيقة تاريخية لتلك الفترة ، وفي الوقت نفسه اعترافا بندمه وتوبته ، يتهم فيه أصدقاءه بعدم الوفاء والحطة والندالة دون أن يخلو هذا الكتاب من نقد لسلوك مارلو ، لكنه نقد منصف يشهد كاتبه فيه بعقريته . وإنهالت سهام الاتهام على مارلو حتى من أعز أصدقائه ، اذ اتخذه بالجراح ريتشارد بيتر وتوماس كيد اللذان كان نقدهما له ذاتيا مدبرا، مما أدى في النهاية الى استدعاء مارلو امام السلطة القضائية كي يجيب على عدة اتهامات أهمها الكفر والزندقة والشذوذ الجنسي . ولم يتردد مارلو لحظة في التقدم للدفاع عن نفسه لما فطر عليه من شجاعة واستخفاف بالمخاطر ولا مبالاة تصل أحيانا الى حد الهوس . وأسفر التحقيق عن ابراء ساحة مارلو مما نسب اليه من تهم ، واكتفى المحققون بنصحه والاقلاع عن ارتكاب الرذائل واتباع طريق الحق والهدى والعدل . وطبيعى ان هذا النصح يعنى اقتناع المسئولين بانه من السادرين في الغي والضلالة رغم هذا القانون الذى ابرأت نصوصه ساحته . وبعد هذه المحاكمة ببضعة أيام أى في ٣٠ مايو سنة ١٥٩٣ قتل مارلو تلك القنلة الشنعاء التى اسلفنا الحديث عنها . وقد اختلفت الآراء حول مقتله هذا ، وتعددت الروايات . فمن قائل بان مارلو قتل غيلة مع سبق وترصد أحكم تدبيره . ومن قائل بان رالى أراد التخلص منه ككؤاكل ومشارب ومنادم ومشاطر له في اللذائذ المحرمة كي لا يكون شاهد اثبات حينما تدور عليه الدائرة . وعلى الرغم من كل هذه الروايات فان ميتة مارلو لا تزال يكتنفها الغموض حتى يومنا هذا . ومن يعلم قرب قصاصة ورق تكشف ذات يوم عن سبب مقتله مثل محضر التحقيق الذى أشرنا اليه آنفا !...

لقد عرف مارلو شكسبير دون شك بدليل أنه اراد تبجيله والاعتراف

بفضله في مسرحيته « كما يروقلك » في المشهد الذي تقول فيه . فوب (١)
وكانها تخاطب روح مارلو « أيها الراعي الغائب ... لقد اكتشفت الآن أن
نظرتك ذات قوة قاهرة » .

فاوست مارلو

ومسرحية فاوست التي كتبها مارلو ذات بداية ونهاية مذهشتين ، غير
أن ما بينهما يبدو كثيبا وكأنه لم يكتب بيد مارلو ، بل أن أحدا غيره كتبه .
اذن لا شك فيه أن مارلو عاون في كتابة مسرحيات غير مسرحياته كما فعل
في مسرحية (٢) هنري الرابع لشكسبير . وحجتنا في هذا أن الانتاج
الدرامي للعصر الاليزبي يصعب القطع فيه برأى . وشخصيات مارلو لكونها
أكبر من الطبيعة وغير افسانية وبدائية تبدو دائما شخصيات مجردة عن أنها
كائنات حية . فهي خالية من التلوين ، يعبر حوارها عن النزعات الجائشة
في صدر المؤلف ومفهومه لمعنى الجمال وقيمه . كما يبدو مارلو في هذه
المسرحية متشيا باستعادة ذكريات غالية ، يلهب شعره التعطش للقوة
والمعرفة والحب وكل ما كان يكتنف ذلك الماضي من عظمة . من اجل هذا
استطاعت ارادة الاحساس بكل شيء والتعبير عن كل شيء وتحقيق كل
شيء حتى ، ولو أدى الى القضيحة ، أن تنفذ الى اعماله الدرامية الغريبة .
وقد برزت رغبته في استعادة الذكريات الغالية تلك في ، استعادة شبح هيلين
طرواده ذات الجمال الصارخ ، واثارته الى هوميروس والاسكندر الاكبر .
وشخصية فاوست هنا شخصية مادية لا تتورع عن الانغماس في الملذات حتى
بعالم الروح كأن يلطم البابا على وجهه ، ويصر على التأكد من شخصية هيلين

Phoebe (١)

Claire-Ethans Engel : Lettres-francaise No. 1905. (٢)

بتلك الشامة التي كانت في قفاها ، ثم تلك القسوة التي قطع بها الشياطين جسد فاوست بعكس ما سيفعله جيته فيما بعد حينما يتسلم الملائكة روحه ويتركون جسده يحمله الشياطين سلبا لاجرح فيه بين تربيئات الملائكة وترحماتهم عليه . والسبب في هذا يرجع الا ان العصر الاليزبي (١) تميز ببشاعة الانتقام وسفك الدم ، لانه بالكاد تخلص من غياهب العصور الوسطى التي شهدت أكبر حمامات الدم والتزاع الديني والطبقي العنيفين . أما جيته فقد كتب مسرحيته في أزهى عصور الفكر واخصبها واميلها الى الحب والتزوع الى الاكتشاف والمعرفة تؤازره في ذلك أصداء موسيقى بيتهوفن ودرر بيرون وشيلر الشعرية . وفي العصور الوسطى أيضا وبداية عصر النهضة ذاعت خرافات السحر واعتبر الساحر خادما للشيطان يسلمه روحه بعقد يتنازل فيه الساحر عن روحه مقابل انجاز رغباته الدنيوية وطموحه ، لدرجة أن بعض البابوات والقساوسة كانوا يبيعون أرواحهم لذلك الشيطان ، رغبة في البايوية أو اشباعا لمتعة دنيوية . لقد بدا في فاوست مارلو رغبة هذا الاخير في تحقيق المستحيلات فوقعت المأساة لمحاولة البطل الكفاح الذي لا طائل تحته ضد القوى الروحية . ومن هنا كان كل هم الدراما الاخلاقية التي تمخضت عنها الدراما الدينية هو البحث في كنه الانسان والطبيعة وتجسيد الشرور والفضائل كالصدقة والسعادة والحب والمرح والشهوة والجشع ، تلك القيم القطرية التي تسيطر على روح الانسان . ويعزى الفضل في الانتعاش الادبي والفني الذي تميز به العصر الاليزبي الى النهضة التي بدأت في ايطاليا ثم انتشرت في أوروبا وما تلا ذلك من تحرير للفكر الذي اتسلخ عن المفاهيم الدينية للعصور الوسطى . وبرز الى الوجود انسان العصر الرومانسي باكتشافاته العلمية والجغرافية .

(١) اختصار لكلمة الاليزابيثى الثقيلة النطق .

لهذا اعتبر مارلو أصدق معبر عن عصره لايمانه بقوى الانسان . وهو يشبه الى حد كبير بطله فاوست الذى ولد مثله فى بيئة فقيرة ثم ارتقى السلم الاجتماعى بذكائه وشغفه بالعلم وايمانه بان المعرفة فى حد ذاتها هدف .

فاوست بول فاليرى

واذا كنا قد عرضنا فى اختصار الى فاوست جيته ثم فاوست مارلو وقلنا ان الاولى تعبر تعبيراً صادقاً عن العصر الرومانسى والثانية تعبر تعبيراً صادقاً عن العصر الالىزبى ، فان فاوست فاليرى تعبر ايضاً صادقاً عن عصرنا الحديث ؛ عصر القلق والحربين العالميتين والايمان بان الانسان عدم .. عصر كامى وسارتر وبيكيت ولامعقوليته . واخيراً عصر بول فاليرى الشاعر الآسى للأساة الانسان الباكى عليه ، الحافز له على العمل والدأب فى سبيل الانسان ذاته .

فقد جاء الى هذا العالم فى ٣٠ اكتوبر سنة ١٨٧١ بمدينة سيت على البحر الابيض طفل يدعى امبرواز (١) بول توسا جول واسم والده فاليرى ، ولد فى باسيا وأمه جراسى (٢) ولدت فى تريستا ، ثلاثة موان تطل على البحر الابيض . بشكل أو بآخر وتختلف أجواؤها ولهجات سكانها ولون سمائها . كل هذا يعطينا فكرة بان بول فاليرى يستحق ان نطلق عليه شاعر الوضوح . ولما شب الطفل الحقه أبوه بمدرسة اللىسية ثم كلية الحقوق فى مونبيليه . وفى سن العشرين انتقل الى باريس حيث قدمه صديقه بيير لوى (٣) الى الشاعر مالارميه (٤) وتعلم على يديه ، وبدأ ينشر أشعاراً رمزية فى صحف طليعة

(١) Ambroise-Paul-Toussaint-Jules.

(٢) Grassi.

(٣) Pierre Louys.

(٤) ستيفان مالارمى Mallarmé شاعر فرنسى ولد فى باريس

« ١٨٤٢ - ١٨٩٨ » وهو أحد أنصار المذهب الرمزي فى الشعر .

ذلك الوقت مثل صحيفتي كونك (١) وسيرانكس (٢) . لكنه لم يلبث أن ادرك أن الشعر في حد ذاته ليس هدفا . ونظر اليه على انه بهذه الكيفية ليس الا شكلا كغيره من الاشكال الادبية الاخرى للطاقة الروحية والعقلية للشاعر أو الاديب . ورأى أنه لكي يؤتي الشعر ثمرته لابد ان يوجه الشاعر هذه الطاقة الى هدفها الاساسي وأن يدرك قيمتها الأصلية ادراكا تاما كي تصبح بفضل هذا الادراك روافدا لا تنضب للمعرفة ووسيلة مثلى من وسائل ممارسة الفنون . وقد استعلن طموحه هذا في بحثين أدبيين أحدهما بعنوان « المدخل الى منهج ليونارد (٣) دافتشى (١٨٩٣) » والثانى بعنوان « ليلة مع السيد تيست (٤) (١٨٩٦) » . ففي رأيه أن أعمال ليونارد دافتشى ذات الشهرة العالمية والخصوبة الفنية تعطينا مثالا حيا للتوازن التام بين عقل الفنان وروحه المنطلقة . والسيد تيست هو شخصية راهب فكر الزم نفسه بوضوح لا يقهر وسط بليلة نفوس بشرية لا طائل منها . « وقد أحمده هذا الرجل في ذات نفسه أنفاس الطيش والوهن » (٥) في سبيل الوصول الى العمل الفكرى الجاد : « انتهيت الى الاعتقاد بأن السيد تيست ما أتى الا لكي يكتشف قوانين العقل التى نجهلها نحن ، لانه من المؤكد أنه الزم نفسه بقضاء سنوات في هذا البحث ، كما أنه قضى سنوات اخرى ؛ سنوات اكثر كي يتمثل اكتشافا ته وينضجها ويمزجها بذات غرائزه ... كما اننى احسست انه كان سيد عقله » . وبعد ان انتهى من نشر كتابه هذا لجأ فاليرى مخلصا الى عزلة العلمية

La Conque . (١)

La Syrinx (٢)

Introduction à la méthode de Léonard de Vinci. (٣)

P. Valery : M. Teste. (٤)

Soirée avec m. Teste. (٥)

تاركا الشعر ، مغتثما فرصة أوقات فراغة التي كانت تتيحها له وظيفته في وكالة انباء هافاس ، وعكف على تأمل الرياضيات وأسس النظريات المجردة. وفي عام ١٩١٧ فقط خرج من عزلته لينشر ديوانه الشعري « بارك الشاب » (١) الذي احتوى قصيدة طويلة كانت بمثابة ممارسة عملية وتطبيق لمنهجه العقلي وقد شجع الحماس الذي قابل به القراء هذا الديوان فاليري على الاستمرار في الكتابة . وما أن انتهت الحرب الاولى حتى ذاعت اعمال فاليري الادبية في أوساط القراء الجاهدين وبين ذوى الثقافة الرفيعة الذين احتفلوا به إيماء احتفال نذكر منهم جيد وهنري موندو وجورج ديهاميل . ومن أهم اعماله الادبية هي أشعار الشباب التي جمعها في ديوان بعنوان « مجموعة الاشعار القديمة » ثم اشعار النضج التي جمعها في ديوانه « المفاتن » . ومن اجمل اعماله الشعرية بوجه عام ديوانه « المقبرة البحرية » الذي يعتبر تأملات عميقة في مصير الانسانية ، ثم قصائده المتعددة التي جمعها في ديوان بعنوان « الترجمس » . وهذا الاخير عبارة عن تنوعات على موضوع أساسي أسطوري . وبعد أن نشر له ديوان المفاتن ، عاد الى النثر ونشر محاورتين هي « النفس والرقص » (٢) و « الاوبالينوس » (٣) مقلدا فيهما من ناحية الشكل على الاقل محاورات افلاطون . كما أنه كثيرا ما كان يستلهم روح سقراط ويعدده ملهمه الوحيد ويستعير منه آراءه الجمالية . لهذا نجد محاوراته في الكتاب الأول عبارة عن تأملات في الحماس الذي يتتاب

(١) La jeune Parque وهي إحدى فتيات المويراي الثلاث في الاسطورة الافريقية واللاتي كن يسيطرن على حياة الانسان ، احدهن « كلوتو » تمسك بفزله حين مولده ولاتيتهن « لاشيزي » تفزله ولاتيتهن « أتروپوس » تفكه حينما يفركه الموت . وقد حفل الشعر الفرنسي بالرمز الى هؤلاء الفتيات اللاتي يطلق عليهن بنات الليل وبنات المصير ... الخ .

(٢) L'âme et la danse.

(٣) Eupalinos.

الراقصة عن طريق سحر الحركة ويحيل امرأة بدائية لبضع لحظات الى كائن له طبيعة فوق طبيعة البشر . أما الاوبالينوس فهو عبارة عن حوار طويل في نبوغ المهندس الذى يستخدم النظريات الهندسية المجردة ، وبوجه عام في نبوغ كل فنان يجمع مادته ويخضعها لهذا النبوغ كى ينبثق منها أحد الاعمال الفنية العظيمة : « بحث عن الانضباط في الافكار فوجدت أنها وهى تتولد بوضوح (١) من بواعث الاشياء تتحول من نفسها الى افعال فى فنى » . ولم يقف فاليرى مكتوف اليدين أمام المشاكل الأدبية لعصره فاتخذ بازائها مواقف متعددة وخصها بتفكيره وآرائه التى كان أهمها تلك الآراء المتصلة بالشعر خاصة . وقد برزت هذه الآراء فى المقدمات التى صدر بها السلسلة التى تحمل اسم « منوعات » والتى صدرت فيها بضعة اعداد عن الشعراء مثل لافونتين ، وادجار بو وبودلير وفيرلين ومالارمى . لقد أتاحت هذه المقدمات لفاليرى أن يدلى بآرائه كشاعر وككاتب يعبر عن مفهومه للشعر والأدب بوضوح . ومن أهم ما جاء فيها قوله « ان ما يحدث فى هذا العالم لا يهمنى إلا من ناحية علاقته بالنبوغ » . وهو يعنى بالنبوغ هنا الإصالة والوضوح لأن الشاعر الحق من أكثر الناس وضوحاً وأكثرهم رشداً وانضباطاً . وهو ذلك الشاعر الذى لا يعتمد على الهام رب من الأرباب لانه يعلم أن يثيا (١) لا تملى شعراء ، وأن الشعر لا ينبع إلا من ذات نفس الشاعر الذى يغوص فى أعماق ذاته كى يحيل خليجات النفس الى حقائق واضحة « الشعر هو محاولة التصوير أو التعبير باللغة المنطوقة عن الأشياء أو الشيء الذى تحاول الصرخات والدموع والإعجاب والقبالات والتنهلات وغيرها التعبير عنه » فالشاعر لا يفوته أيا من

(١) Pythie كاهنة الإله ابولون آله التنبؤ والفنون والنور فى مدينة دلفى فى الميثولوجيا الاغريقية . وكانت تجيب على أسئلة الوحي بما يراه الإله ابولون .

هذه الأصوات المختلطة التي تنبئ عن الرغبات المستسرة في أغوار النفس والتي تترجمها قريحته المتقدمة إلى كلمات. « لهذا يرى بول فاليري وجوب ألا يظل الشاعر بمنأى عن الواقع مهما كان نوعه. كما يجب أن تكون القصيدة احتفالا للذهن تشارك فيه الزينات اللفظية وكل ينابيع الموسيقى. فعن طريق قسر دائم يمارسه الشاعر على مفردات اللغة والإيقاع والقوافي ترسم بالتدريج صورة الجحمال. معنى هذا أن فاليري يقبل كل القواعد التقليدية مادامت هذه القواعد تؤدي إلى التكامل الدقيق الذي نبحث عنه، وإلى الصورة التي توحى بالأمل في اتساق عام أو حكمة مقدسة، وفي النهاية إلى صورة تخلب لب القارئ أو السامع بفضل سحرها وفتنتها. والأساس الذي يعتمد عليه بول فاليري في صياغة الشعر أو النثر هو تخير اللفظ وانتقاؤه بحيث لا يقتصر على أداء المعنى الذي يقصده الكاتب بل يتعداه إلى الإيحاء واثارة المشاعر. إذ من مجموع هذه الألفاظ وبالتدريج تتكون صورة أخاذة تخلب لب القارئ أو السامع وتدعوه إلى المشاركة دون عناء. فاللفظ في حد ذاته لا قيمة له إلا إذا التأم باخوان له يؤلفون معه لحنا، تماما كالتريفة الموسيقية لا قيمة لها إلا إذا التحمت بالترقيعات الأخرى على السلم الموسيقي كي تعطى لحنا. ومع هذا فقد اتهم بعض النقاد ومنهم كليمان (١) فوتيل مؤلف المقبرة البحرية بالغموض. لكن أليست موسيقى موزار كانت تبدو غامضة في عصرها؟ حقيقة أن دراسة فاليري تعطينا لأول وهلة فكرة لغموض ظاهري في قصائده المشهورة. ولكن حينما نتعمقها نجدها الوضوح بعينه؛ الوضوح الإغريقي الذي اكتنف حياته الروحية. ففي سبت تسطع الشمس لتضيء الأشياء بضوئها الغامر حتى النخاع. وفي هذا يقول (٢) مورا :

(١) ناقد فرنسي معاصر لفاليري. Clément Vautel.
(٢) Mauras.

ولدت وخلقت للضبرء

واقفنى على أن نخلد النهار

ليس هذا نوعاً من الخيال لأن بول فاليرى نفسه يؤكد ذلك بقوله « أدين لميناء مولدى بمشاعر روحى الأولى ، ويحيى للبحر الأبيض وحضارته التى اندثرت فوق شواطئه . لهذا يبدو لى أن كل أعمالى تنبئ عن أصلى » . هذه عبارة لا توحى دون شك بأن فاليرى كان يزمع الاتجاه إلى جبل الفالبورجس (١) . وقد سبق أن قلت أن جيته فى أعماق جيرمانيته خاصة فى الجزء الثانى من فاوست كان يتوح على ذلك الحلم القديم للاتينية الضائعة التى يرغب فى استرجاعها والتى كانت أيضاً مثله الأعلى البعيد . وظهور هيلين طرواده ذات يوم خيالى أحبها فيه وهو بقول لها « هل (٢) تعرفين هذه البلاد ... » إنما يتم عن هذه الرغبة العارمة التى لا يزال يحلم بتحقيقها مؤلف « الإخوة والأخوات » فى أحضان رومانسية شمالية . وهى ذات الرغبة التى كانت متسلطة على هولديرلن (٣) ومن بعده نيتشه (٤) ؛ رغبة مثالية ترنو إليها نفس ضائعة فى ظلمات طبيعتها الذاتية . وفاوست هو الإنسان . والإنسان تيه مظلّم قدر عليه ويرغب فى إضاءته وإضفاه الوضوح عليه . وفاليرى لم يكن واضحا لقارى سنة ١٩٢٠ بعد أن خرج من ضباب رمزى فى سنة ١٨٩٠ . وبعد سنة ١٩٢٠ بلأ إلى عزله لينشر على الناس نمطا جيتيا (نسبة إلى جيته) فى « السيد تيست » ، مما جعل فوتيل يصفه بالغموض . لكنه لم يلبث بعد « الشاب بارك » ذات الظلام

(١) جبل Walpurgis أو Walpurgis حيث كان يجتمع الشياطين

فى ليلة معينة من السنة ، وهى الليلة التى جاء ذكرها فى فاوست جيته .

Kennst du das Land wo die citronnen bluen... (٢)

Holderlin. (٣)

Nietzsche. (٤)

المستمد من مخالطته لما لارمى ، أن يتفد إلى الوضوح في « الترجس » و« المقبرة البحرية » . ويؤكد هذا قوله « الشعر هو التنبؤ » و« إننا نصل إلى الوضوح بوسائل الغموض » . بعد كل هذا ما هي القضايا التي واجهت فاليري فقادته بالتالى إلى أن يطرق موضوع فاوست ؟

إنها نفس القضايا الخالدة بكل تأكيد ؛ قضايا الإنسان الذى لا يتغير ؛ قضايا التى يعيشها مهما اختلفت وسائل هذا العيش ... فقد اختلطت بالتدرج الألوان الأدبية والفلسفية الغامضة بالألوان الصناعية لومضات نار الوضعيين أنصار أوجست كونت ، وكذلك بنشوة انتصار أصحاب مذهب النشوء والارتقاء . وفى النهاية بتيارات الشباب المثقف التى كانت كافية لأحداث استقرار نسبي ساد نهاية القرن الثامن عشر . فى علم النفس حامت الشكوك حول صحة أبحاث فرويد ، وفى العلوم لم يقطع العلماء برأى فيما يتعلق بالذرة . ضربة قاصمة توجه للعلم . المهم كان كل شىء يبدو غير واضح لم يقطع فيه برأى . وأصبح كل ما وصل اليه العلماء مهدداً بأن ينقلب رأساً على عقب . وحتى حوالى سنة ١٩١٠ كانت الفنون لا تزال متأثرة بسحر ضبابية الرمزية ، ولا زالت تحوم هنا وهناك الضبابية الأخيرة للرودينباخية (١) . زد على ذلك أنه خلال ربع قرن من الزمن اندلعت حربان عظيمتان ١٤ ، ٣٩ ولدت فيها دول واندثرت دول أخرى . وبالتالى برزت إلى الوجود مأساة الإنسان ؛ مأساة فاوست روح الإنسان وقلبه وعقله . لقد ذكرتنا الحرب الأولى بإمكان عودتها فى شكل أشد ضراوة وأشدّ محقاً للبشرية ومنجزاتها وآمالها . وفى مواجهة كل هذا أصبحت القضية البشرية ذات عمقين ؛ عمق

(١) نسبة إلى جورج رودينباخ Georges Rodenbach الشاعر البلجيكي أحد رواد المدونة الرمزية ومؤلف الشباب الأبيض والصمت السائد

فلسفى يغوص فى باطن النفس البشرية باحثا فى كنهها وطبيعتها وعمق آخر
فلسفى أفضا ولكنه يتجه إلى البحث فى الكواكب والعقل وكيفية تفكيره
ومسيره . فهو منطقى حينما يريد ومتشكك متردد أكثر مما يريد ، محمولا
بالطبيعة إلى شك يقرب من شك أناتول فرانس يريد ومتشكك متردد أكثر
مما يريد ، محمولا بالطبيعة إلى شك يقرب من شك أناتول فرانس ويصل
إلى قمته عند بول فاليرى الذى لا يؤمن بالمسيحية ، وترتكز فلسفته على
« الرفض » نعم ... بول فاليرى الذى يختلف اختلافا كبيرا عن مواطنه
باسكال ، ولا يميل أبدا إلى فلسفة كلوديل المتفائلة أو فلسفة بيجى التى تبحث
عن العلاج فى مواجهة اليأس الذى يهدده . إذن فليس أمام فاليرى إلا
الرضوخ التام لإنكاره الذاتى . وهذا نجده واضحا فى قصيدته « كما هى »
و « الأفكار السيئة » .

فى « بارك الشابة » نجد هروبا مؤلما أمام أحزان عاصفة هوجاء . كذلك
نجد هذا الهروب أشد ايلاما بسبب تقدمه فى السن والأحداث المحيطة به
والشك القاتل فى أيام يونيه سنة ١٩٤٠ المؤلمة . لقد وصل إلى مرحلة وجد
نفسه فيها يبحث عن وجه من وجوه « الانا » التى لا تنضب ، ولم يتنه من
هذا البحث إلا باجابة غير محددة تختلف بعض الشيء عن « العدم » . وهذا
كله بالطبع يلائم الشخصية الفاوستية . وبشجاعة كبيرة ولكى لا يقرر
مأساته بنفسه على المستوى الشعرى أو الذهنى ، ارتدى قناعا فوق القناع
الإنسانى ؛ فوق مأساة « أنا الإنسان الذى لست شيئا ego sum qui nego »
حيث أحس بنهايته ودمغ أكذوبة الحياة الإنسانية . لهذا كله كتب فاليرى
فاوست ، ولكن بطريقة تختلف تماما عما كتبها سابقاه ؛ مارلو وجيته دون
أن يصل فى الحقيقة إلى جلال التصورات التى وصل إليها جيته . كان فاليرى

فى الواقع يلهو دون أن ينتهى إلى نهاية لان فاوست فاليرى مكتوبة من ثلاثة فصول دون أن يكتب الرابع . ويبدو أنه كان خائفاً من عدم صدقه مع ذاته ؛ ذلك الصديق الذى كان له بالمرصاد فى الفصل الرابع حيث كانت دموع لوست البلورية على أهبة الانهمار للتخفيف عنه .. كان مقدراً أن يموت السيد تيست دون أن يعترف . فلو أنه قدر لهذا الفصل الرابع أن يكتب لكان فى الإمكان الوصول إلى ايضاحات كثيرة يمكن أن تكون بمثابة علامات على الطريق تفسر لنا مثلاً المظهر الساخر الرشيق فى شخصيات فاوست الذى لجأت اليه إحدى عبقریات هذا العصر ؛ هذه العبقرية التى أخذ عليها ديجا Degas المصور « أنها تريد أن تحيط بكل شيء » ومما يؤيد هذا ، ذلك الشيطان الظريف ميفيستوفيليس الذى يلهو مع فتاة يريد أن يغريها بفتى فتغلب عليه وترده على أعقابها خاسراً . كذلك فعل الفقى التلميذ وكان أشد منه صلابة وأقوى حجة . لم يكن شيطاناً شريراً أو مخيفاً بل كان فى استطاعة أى إنسان أن يتسلل معه . ربما كان نموذجاً لشيطان عصرنا الذى لا يقدر للبشر على شيء لأن البشر أصبح كله شياطين . ومع كل هذا فان المسرحية فى جملتها قصيدة شعرية عذبة لأنها صدرت عن شاعر عذب الأسلوب رشيق العبارة .

فالى فاوست بول فاليرى ...

عبد العاطى جلال

فاوست

بول فتالیری

ترجمہ

عبدالعاطی جلال

فاوست

قدمت على المسرح في سنة ١٩٦٢

توزيع الأدوار

| | |
|--------------|-----------------------|
| فاوست | بير فرسنى |
| لوسى | دانييل ديلورم |
| ميفيستوفيليس | بير دوكنس |
| التلميذ | روبرت ايتشيفرى |
| الخدم | جاك هنرى ديفال |
| جونجون | روزين لوجيه |
| مستروت | جابريل جابور |
| بليال | بول بيسيچليا |

اخراج : بير بوليز

ديكور : بير سيمونيتى

الفصل الأول

في مكتب الدكتور فاوست

المنظر الأول

فاوست - لوست.

(وهي تضحك عند رفع الستار)

فاوست : كفى يا لوست ... فلنته من هذا الضحك ! ليس هنا مكان الضحك (تتوقف عن الضحك) آه لو أنك تعرفين ما الضحك .. ! (تضحك أكثر) قلت لك كفى .. كفى ! هذا غير محتمل وإلا فاذهبي واضحكي في الحديقة ..

لوست : آسفة يا أستاذ ..

فاوست : ومم تضحكين ؟

لوست : كانت مجرد فكرة ..

فاوست : أى فكرة ؟

لوست : (وهي تستأنف الضحك) .. ف...ك...ر...ه (تكف عن الضحك) غريبة .. رأييت ؟ فكرة لست أدري

كيف أعبر عنها !! أولا ليست فكرة تماما .. ثم انى
أشعر بالضحك يتابنى كلما عدت إلى هذه الحالة النفسية
التي تثير في الحال كل بدائيتي .. لا تظن أنى أحب هذا
الضحك . فهو يؤذيني .

فاوست : وأنا يضايقنى أن أضيع وقى فى انتظار أن تستفدى
شحتك البدائية .

لوست : معذرة يا أستاذ .. انها إلى حد ما غلطتك .. أنا أعرف جيداً
ما هو الضحك .. لقد أملتى فى ذلك اليوم أن الضحك
رفض للتفكير وأن النفس تتخلص به من صورة تبدو لها
مستحيلة أو أقل مرتبة من مرتبتها ، كما تتخلص المعدة
مما تنوء به فتحاتى بذلك اضطراباً فظيعاً .

فاوست : أليس هذا صحيحاً ؟ أليس من الملاحظ أيضاً أن كلا من
النفس والمعدة تلجآن إلى القوة البدائية كى تطردا ...

لوست : نعم . لكن الضحك أقل من هذا تنفيراً .

فاوست : هذا يتوقف على الضاحك .. لكن ماذا عن فكرتك ؟

لوست : لا مؤاخذه يا أستاذ .. حدث أنى أعدت التفكير فجأة
فى تعريفك الجميل .. ولا أدرى ما إذا كان ما سبق أن
قلته هو الذى جعلنى أعاود التفكير .. وهكذا بالعودة
إلى كلمتى اضطراب فظيع .. لا أدرى ما الذى حملنى
على الضحك ... وقد حدث ! لا جدوى من المقاومة .
وفضلاً عن هذا ... فى كل لحظة صمت أقول لنفسى :

اضطراب فظيع .. اضطراب فظيع ... هو ذا الأستاذ
يلاحظ اضطراباً فظيعاً ! بلاهة .. بلاهة ... بلاهة وأعاود
الضحك..

فاوست : إذن أضحكى .. اضحكى (تضحك) لا بأس مادام
في حدود الاضطراب الفظيع .. على الأقل يفتر ثغرك
عن أسنان جميلة ناصعة البياض .. وترنج رقبتك في هلال
قد يعطل التفكير ... فينأى بنا بعيداً .. احذرى الضحك
أمام أول طارق ..

لوست : لكن يزعم البعض أن الضحك يجرد السامع من أسلحته .
فاوست : لكنهم لا يزعمون أنه مجرد غير هادف .
لوست : آسفة يا أستاذ .. أكرر أسنى .. لن أفعل هذا بعد ذلك
فاوست : أنا متأكد من هذا كما أنت نفسك متأكدة .. عظيم .. هل
أنت على استعداد لقليل من العمل ؟ فلنستأنف ما بدأنا في
إملائه بالأمس ..

لوست : المذكرات أم البحث ؟
فاوست : قلت لك بالأمس... اننى جعلت منهما مؤلفاً واحداً .
لوست : لم أفهم ... إذ غالباً ما تخلق روحك في قوة وسمو كبيرين
لدرجة أن ..

فاوست : لست هنا لتفهمى يا طفلى .. أنت هنا لتكتبى ما أمليه
وتقرئى ما أمليته .. وزيادة على هذا .. زيادة على هذا ..
أن تنظري دون أن تفكرى لكى لا تكونى ثقيلة .. فهمت ؟
لوست : ما دمت هنا لكى لا أفكر ..

فاوست

: أفهمى ما أقوله لك .. ولا تدسى أنفك لفهم ما أملكه عليك .. هل هذا الكلام واضح ؟ أم يجب أن أفسر لك هذا ؟ أنا أملك ما أفكر فيه . وبينما أفكر وانتظر تفكيرى .. أو أية كلمة أكثر تعبيراً من التى كانت أكثر تعبيراً قبل ذلك ، بطيب لى أن تشغل عينى بشيء ما يروق لى بوجه خاص ... فتعلقان به وتتسلان به فى براءة ، كاليد الشاردة التى تلاطف وتداعب شيئاً ما بعيداً عن مشاغل الفكر .. تحفة ، تمثالا عاجيا مألوفاً ..

لوست

: أنا التى يشرفنى يا أستاذ أن أقوم بهذا الدور المشرف البسيط الذى يساهم بنوع خاص فى تهدئة آلة فكرك .. أما عن اليد الشاردة على سجيتها ، أفلا تعتقد أن قطعة جميلة لطيفة دافئة تكون أكثر ملاءمة للمداعبة من تمثال عاجى جاف بارد ؟

فاوست

: قطعة ؟ لطيفة .. دافئة .. ليست فكرة عابثة .. لا تفرطى فى استخدامها .. فلنعمل .. هيا ... يجب أولاً أن أنبهك إلى خطئى فى العمل حتى لا تعودى إلى ارتكاب خطأ فى ترتيب النصوص . فلتعى جيداً غرضى العام : أنا أستطيع كتابة مذكراتى ، كما أستطيع أيضاً كتابة كثير من الأبحاث فى كثير من الموضوعات .. لكنى لا أريد هذا ، بل ربما يضايقنى مثل هذا العمل ... ثم اننى أرى أن فصل الفكر مهما كان مجرداً عن الحياة نوع من التضييل مهما كان أكثر ...

لوست

: حيوية ؟

فاوست : لنقل أكثر معاشة .. وبالتالي قررت تضمين النص نظرياتي
ومشاهداتي وقضايا وأفكارى بوضوح وببساطة، وفي
سرد ما صادفني في الحياة بنفس المفاجأة التي باغتني بها
في علاقاتي بالرجالي وبالأشياء ..

لوست : بالرجال فقط ؟

فاوست : وبالنساء دون شك .

لوست : بالرجال والنساء فقط ؟

فاوست : وبعض الشخصيات الرفيعة جداً أو المنحطة جداً والذين
ليسوا رجالاً أو نساء ..

لوست : فهمت .. سمعتهم يقولون أن الناس ذوى الشخصيات
الرفيعة لم يكونوا من أى الجنسين أو من كلا الجنسين معا .

فاوست : هيا .. أعيدى إذن قراءة البداية ..

لوست : (تتناول كراسة وتقرأ) : بحث الأرسية ... والأرسية
هى فن الرفعة ... »

فاوست : لا .. يجب ألا تأتى الأرسية إلا في الفصل العاشر أو
الحادى عشر ..

لوست : (تتناول كراسة أخرى) : آسفة .. هى هذه إذن ؟؟ (تقرأ)
« الشهوة المجنونة » .

فاوست : ماذا تقولين ؟ ما هذا العنوان ؟

لوست : لقد أملهته لى ... هأنذا أقرأ ما هو مكتوب .. ربما سمعت
خطأ ..

فاوست : الشهوة المجنونة ؟ مستحيل ! الشهوة المجنونة ؟ ليس هذا كلامى .. ومع هذا فلا بأس منه ... الشهوة المجنونة ! لابد أنه كلامى . وإذا كان قد جاء صدقة أو خطأ أو عبثاً منك فإنه يعجبني . سوف أستخدمه ! الشهوة المجنونة . الشهوة في حد ذاتها كمنيع لطاقة غير محدودة .. أرى إننى أستطيع استخدامه ! نعم ... اكتبى لى هذا العنوان على ورقة وردية .. عريضة فكرية تماماً تستخدم في داخلى بسبب هاتين الكلمتين .. لا أكثر من هاتين الكلمتين « شهوة مجنونة » ! سوف نضع أيدينا ذات يوم على الكتر الذى ستكون هاتان الكلمتان مفتاحاً له .. اكتبيهما ..

لوست : كتبتهما .. هذه هى العبقرية ..

فاوست : أليس كذلك ؟ رأيت المسألة سهلة إلى أى حد . إنها تتوقف على أن يكون الإنسان حساساً لأى صدقة .. ها .. اعترى على بداية المذكرات .

لوست : آه .. وجدتها هذه المرة .. ها هي (تقرأ) « مذكراتى ... بquam الأستاذ الدكتور فاوستوس ... عضو أكاديمية العلوم المينة .. إلى آخره .. بطل عدة مؤلفات أدبية قيمة » .

فاوست : عنوان هائل .. أضيف « أدبية وموسيقية قيمة جداً .. » .

لوست : (تقرأ) : « إلى القارئ حسن النية ضعيف الإرادة » .

فاوست : لأنه القارئ المثالى ... سوف أكتبها باللاتينية هذه العبارة .. إقرئى ..

لوست : (تقرأ) : « لقد كتب عنى الكثير حتى لم أعد أعرف من أنا. حقيقة لم أقرأ كل ما كتب عنى فى هذه المؤلفات المتعددة ومنها دون شك أكثر من مؤلف لم أوفق فى العثور عليه . لكن تلك المؤلفات التى عرفتھا تكفى لأعطائى شخصيا بما فى ذلك حياتى الخاصة فكرة تتميز بغناها وغزارتها . وبهذه الكيفية أستطيع أن أختار بحرية مكان مولدى وتاريخه من بين عدة شهادات ميلاد أثبتت صحتها الوثائق والأدلة التى لا يمكن ردها والتى أنتجتھا وناقشھا نقاد لهم مكانتهم المرموقة . كما أستطيع أيضاً الارتياح باخلاص فيما إذا كنت قد تزوجت أم لا ، مرة واحدة أو لعدة مرات وما إذا كانت زوجتى قد اتبعت سلوكا مطابقاً للعرف ... » لا مؤاخذه يا أستاذ .. هذه العبارة غامضة بعض الشيء ..

فاوست : كل شيء يجب أن يكون هكذا فى نظرى ... هنا أعنى أن العرف هو ما يريده الناس فى مادة السلوك .. هيا .

لوست : (تقرأ) : مطابقاً للعرف أو للطبيعة .. كذلك الأمر فى أخلاقى التى يستطيع الناس أن يتحدثوا عن كل شيء فيها مادمت رجلاً مشهوراً « هل هذا صحيح ؟

فاوست : دون شك ... هذه من أوجه العظمة ... اقرئى .

لوست : (تقرأ) : ينتج عن هذا كله أن حياتى فيما أذكر تمتزج بكل هذه الحيات التى لا تقل تخيلاً أو أصالة عما نسبوه إلى من حيوات .. أن هذا لا يعينى فى قليل أو

كثير ... المهم هو أنا .. وهذا هو المدهش ... افترض
انك موجود .. فهذا هو أنت تماما ..

فاوست : ماذا فهمت من هذا ؟ هيا ..

لوست : (تقرأ) : ان هذا لا يعننى فى قليل أو كثير .. المهم هو أنا ..
وليس الماضى سوى اعتقاد .. والاعتقاد رفض لقدرات
روحنا التى تكره أن تتلاءم مع كل الافتراضات المبنية على
الغيبيات واعطائها جميعها نفس قوة الحقيقة .. أما أنا فلم
أرفض أبداً أن أصبح هكذا ما يجب أن يكون تاريخنا لحياتى .
وبالتالى فليس لى ماض بالمعنى الحقيقى . وان ما فعلته وما
أردت أن أفعله وما كان فى استطاعتى أن أفعله أصبح
فى حالة أفكار حية ماثلة أمامى أيضاً ... فأجد نفسى أيضاً
أهلاً لكل المغامرات التى تتخيلها ذاكرتى أو التى يضيفها على
المتعرضون لسيرتى الذاتية فى كرم زائد . ومع ذلك .. » .

فاوست : ومع ذلك .. ؟

لوست : هذا كل شىء .. وقفنا هنا .. جاء أحدهم بذكرك بموعد
وليمة العشاء الكبيرة عند وزير الروح . وكان هليك أن
ترتدى حلتك الجحيلة ذات السيف والقلائد والنجوم ..
كنت رائعا حقاً . أمير أفكار حقاً !

فاوست : اتخذت منها عبيدى ! ألا تجدني فى كل هذا تجريداً تماماً
أيتها الشابة .. ؟

لوست : هل يجب أن أقول الحق .. ؟

فاوست : أترك لك اختيار الأكذوبة التي تبدو لك أكثر جدارة بأن تكون حقيقية .

لوست : للأسف يا أستاذي .. ليس لي من حدة الذكاء ما يجعلني أستطيع الاختيار .. تود سؤالي عما إذا كان هذا النص غير مجرد تماما ... كيف أستطيع الإجابة ؟ أعترف لك بأنني نادراً ما أصغى إلى ما أعيد قراءته عليك ... وحينما تمليني أفكر دائماً في شيء آخر وأنا أكتب ..

فاوست : كيف هذا .. إذن لا أستطيع الاعتماد عليك كثيراً ؟

لوست : بالعكس يا أستاذي .. فلو أنني أفكر فيما تمليه لكتبت بشكل أسوأ كثيراً . وربما أضفت شيئاً من هندي إلى أسلوبك الجميل ..

فاوست : ربما يكون هذا أحسن ... كقطرات الماء العذب الصغيرة تندي رمالي الجحافة ... ماذا يخطر ببالك وانت تكتين مثلاً ؟

لوست : أوه .. تفاهات طبعاً .. أي شيء .. أحياناً بعض أسئلة فضولية .. في الحقيقة لا يمكن أن يكون الإنسان يجوارك دون أن يفكر في كثير من الأشياء .

فاوست : في أي شيء مثلاً .. ؟ اذكر لي بعض الأمثلة ..

لوست : لا .

فاوست : نعم .. أود هذا .. لا بد أن تعطيني بعض الأمثلة .. إذ ما دمت أملى عليك مذكراتي فهذا يعني أنني أستسلم لكل فضولك ... وبهذه المناسبة أنبهك ، ومن واجبي

أن أنبهك إلى أنه سوف تصادفك دون شك في هذه المذكرات التي أنا بصدد كتابتها أكثر من صفحة ربما يكون الاصغاء إليها مضايقا لك بما فيه الكفاية .. وسيكون أكثر مضايقة كذلك إعادة قراءتها على .. ومع هذا فاني أود أن أقدم فيها طابع صدق أشد قوة وأشد أثراً مما أستطاع أن يقدمه أي كتاب آخر . وهذا الأثر القوي لا يمكن الوصول إليه إلا بأن يعاني الإنسان نفسه كل المخاوف ، والمخازي الخفية أو التجارب المفقودة التي في استطاعة الإنسان أن ينبه إليها سواء أكانت حقيقية أم كاذبة . وليس ثمة ما هو منحط جداً أو نزق جداً دون أن يضني ظلاً من الحقيقة على قصة ذاتية . وبالتالي فلو أن أذنك العفيفتين ..

لوست : أذني . ؟ كيف ؟ حتى الأذنين ؟ لا أعرف هذا .. أيمكن أن تكون الأذنان غير عفيفتين ؟ أذناي الصغيرتان اللطيفتان ! يا له من اكتشاف ! أي شيء يمكن عمله في الأذنين غير ثقب صغير بآبرة من أجل قرطين ؟

فاوست : الواقع أنهما تدعوان القرطين .. أنهما ساحرتان هاتان الأذنان .. (يمسكها من أذنها) متفتحتان في عجب .. خلقتا للاصغاء دون الفهم أو إدراك ما لا يفصح عن نفسه .. أنا متأكد أن هذه الأذن تسمع جيداً ما أقوله لها في هذه اللحظة (يترك أذنها) إن للطبيعة ضعفاً أمام المخروطيات الصدفية التي نصنع منها حلياً غريبة في البحر وأدوات زينة للسمع

على جانبي رأس جميل.. لكن المسألة تتعلق بشئ آخر.. ووددت
أن أخبرك بانك إذا لم تكونى متأكدة ... متأكدة تماما من
أنك لن تتضايقي أبداً أو تصدمي أولن تكونى مكترثة
جداً .. جدا بما سوف يحدث وأنا أمليك، فمن الأفضل
لك ولى أن تفكرى من الآن فى عمل آخر أقل امتهاانا
لمواهبك .

لوست : إذا فهمت ماستمليه على فسأستطيع أن أسمعها وإذا لم
أفهمه ...

فاوست : إذا لم تفهمى ستحاولين أن تفهمى .. وهذا أسوأ .. فمن
يدري ماسوف تحتزعينه ؟ الأبرياء يخيفون ... قلت بنفسك
أنه قد ورد على خاطرك أسئلة فضولية ... وأنا لم أمل بعد
عليك شيئاً ليس نقياً تماماً .

لوست : من ناحية أسئلتى يا أستاذ .. ليس عندى غير سؤال واحد .

فاوست : ماهو ؟

لوست : أوه .. لا أجروأ أبدا .

فاوست : إسألنى .. أنا أريد هذا .. يجب أن نصل إلى الهدف ..
بدون هذا ...

لوست : بدون هذا ماذا يحدث ؟

فاوست : بدون هذا سوف يرزح قلبك بعبء البقية المحتجزة لفكرى.
كما أن شعورى بأنك تخفين عنى شيئاً سوف يمتد إلى
إلى نفسى . وفى هذه الحالة تنعدم الثقة ويفسد العمل من

جاء ذلك . مع أننى فى مسيس الحاجة إلى التأكد من ثقة أكبر تتبادل بيننا وتكون مملوءة بالوضوح .. فى حاجة إلى سكرتيرة .. فتاة من البللور..

لوست : أوه .. عنوان جميل .. الفتاة البللورية .. يصلح أسما أيضا ... اسما جميلا ! لوست البللورية ، الفيكونتيسة لوست البللورية ... أستطيع التوقيع بهذا الاسم على الروايات ...

فاوست : هل تريدن هذا الاسم ... تريدن أن تتسمى به ؟ .. إذن كونى حقيقة به .. كونى شفاقة .. تكلمى .. جاوبينى ..

الوست : مادام ولابد ... مادمت تصر ... مادام يجب أن أكون شفاقة ... سأتكلم ... سأسألك ... أنت لا تريد منى أن أسكت .. يتحدث الإنسان بقدر ما يريد ..

فاوست : خطأ شائع .. يتحدث الإنسان بقدر ما يستطيع ... ما يستطيع هيا تكلمى ..

لوست : إذن قل لى يا أستاذ .. هل أنت حقيقة تتعامل مع الشيطان ؟

فاوست : الشيطان ؟ (يشير إلى لوست علامة الإيجاب) هذا أمر طبيعى كأي انسان .. هل تعرفين إنسانا ليست له علاقات خاصة معه ؟ مستحيل .. وما هى الوسيلة لتجنب مثل هذه العلاقات ؟ هل يجب ألا يفكر الإنسان ، ألا يحلم ، ألا يحس ... خذى مثلا أنت .. ماذا تفعلين فى هذه اللحظة

يا طفلى ؟ انك تحترقين يا لوست الشابة .. تحترقين
شوقاً لكى تعرفى ..

لوست : طيب هل رأيته ؟

فاوست : قالوا هذا وكتبوه وتغنوا به أيضاً ... تغنوا به كثيراً ..
قالوه وكتبوه وتغنوا به لدرجة أننى وصلت إلى الإيمان به ...
لكن الآن بدأت فى عدم الإيمان به ..

لوست : بعد ثلاث آلاف تجربة ؟ لماذا ؟

فاوست : لأنه مقدر على أن أقف وقوفاً تاماً على الآراء الممكنة
لكل وجوه الحياة، وأن أعرف بالتالى كل المذاقات حلوها
ومررها، وأن أربط وأحل وأعيد ربط كل تلك العقد التى
ليست إلا أحداثاً لحياتى ... لم يعد لى سن ... وسوف
لا تنتهى هذه الحياة إلا بعد أن أحرق فى النهاية كل ما أحببت
وأحب كل ما أحرقت .

لوست : يالبؤس هؤلاء النسوة اللاتى أحبينك ! لابد وانك ألقيت
بهن فى أتون تجاريلك ..

فاوست : لا فائدة ... حسبي حياتى .. وعلى أية حال فالمرأة لا تحترق
كما يجب .. لابد من ملاحظة عملية احتراقها وتزويد
الموقد طوال الوقت ... وهذا يكلف كثيراً ويضنى
كثيراً ..

لوست : فى جولاتك الكاملة هذه للوقوف على الآراء، تذكرنى
بطبيب أُمى .. لقد منعها عن الملح مدة عشر سنوات وإلا

الموت .. ثم صرح لما بعد ذلك به .. وأنا متأكدة أنه
مستعد لمنعها عنه قريباً .. لكن ... أجبني ؟ لم تجبني ..
هل حقيقة رأته .. رؤية .. ما نسميه رؤية ؟ كيف هو ؟

فاوست : كيفما يريد الناس .. هل تسمعين ؟ كيفما يريدونه ..
كل ما يريدونه .. يستطيع هو دائماً أن يكون كما يريد
الناس ..

لوست : لم ألاحظ بأجابتى يا أستاذ ... لم أسمع إلا ردوداً فقط .

فاوست : وأضيف إلى هذا ، أنه يتقصد كثيراً من الأشياء التى يتأتى
للعيون الثاقبة أن تتعرف عليه فيها .. نغذى مثلاً طقس
أمس الجميل .. كان الجو معتدلاً رقيقاً بعد ذلك الجو
الممطر .. كان هو .. كذلك المقعد الصغير تحت أشعة
الشمس ، وقد كان يغرى الكثيرين بأنه مقعد مذهب بعيد
عن أهين الفضولين تحت أخضان الشجر التى تداعبه ..
إغراء بالاسترخاء .. إنه هو .. مذاق معين لفاكهة الفراولة
أو على الأصح ذكرى هذا المذاق لأنها أكثر فاعلية ..
إنه أيضاً هو .. أنت نفسك ، مثلاً لكى يضيع أحد المارة ،
يمشى وراءك ويشم نكهة عطرِكَ .. إنه هو .. لوست ..
إنه أنت نفسك .

(طرق على الباب)

لوست : لا يا أستاذى ... كل هذا ضرب من الأدب .. إنه ليس
هو ..

فاوست : ضرب من الأدب ؟ ليس هو الأدب دائماً بكل أسف ..
لأنهم — كما يقوون — من شئ ما آخر تماماً، إذ ليس للأدب دائماً
هذا الزخرف وذلك العمق (طرقت على الباب . يدخل
الخادم) ما هذا ؟

الخادم : رجل بالباب يا سيدى الأستاذ.

فاوست : ذكر لك اسمه ؟

الخادم : قال إنه كان صديق سيدى .. وهو لا بالطويل ولا بالقصير ..
لم أع اسمه تماماً .. يتكلم بلكنة مضحكة أو على الأصح
لكنة أجنبية .

فاوست : (محمداً المقاطع) : يتكلم الإيطالية باللهجة روسية .. ؟

الخادم : لا أعرف يا سيدى ..

فاوست : عظيم .. دعه يصعد (للوست) لو سمحت اذهبي وانتظرينى
فى المعمل يا آنسة حيث لا بأس من فكرة طاهرة ولا شئ
من الأوامر .

لوست : هأنذا ذاهبة (لنفسها) إنه هو .

(تخرج)

المنظر الثاني

فاوست — ميغيستوفيليس

ميغيستوفيليس في ملابس أحد رجال الدين ، أنيقاً جداً ، أذناه مديبتان في طرفيهما الأعلى كأذني التيس .

ميغيستوفيليس : هذه الصغيرة متلهفة جداً لمعرفة الشيطان . فهل كان على إذن أن آتي بقرني وبالملايس الحمراء والطرفين المهنحين والمخالب والذيل ؟

فاوست : أنت هائل جداً هكذا ... تستخدم الباب للدخول ، وتفوح عطرًا .. يا الله !

ميغيستوفيليس : أليس كذلك ؟ تعديل بسيط في المادة الكبريتية التقليدية أنشر به عطرًا ممتعًا نفاذاً في حاسة الشم ..
(يجلس في وضع غريب على المنضدة)

فاوست : تعرف جيداً أن العطور من أكبر الوسائل الغادرة بهذا العالم . إنها تعلن عن ألد النوايا وترسم خططها وتفضحها .. من يتعطر يعرض نفسه ! وقد كان أحد القديسين يدعى أن العطور تمنع التأمل .

ميغيستوفيليس : قول فيه كسب كبير ... التأمل رذيلة فريدة تحفر في الضيق ثقباً أسود تأتي الحماقة لتملأه ... إنني أدين بالكثير إلى التأمل ... ماذا يجب عمله نحو هذه الفتاة ؟

فاوست : مهلاً .. إن الأمر لا يتعلق باغواء مرجريت جديدة ..

ميفيستوفيليس : هل وعدتها بعقد لؤلؤ ؟

فاوست : أبداً ..

ميفيستوفيليس : ها هو ..

(يفتح يده فيسقط منها عقد من اللؤلؤ)

فاوست : لا لا لا ... أنت تصغى إلى كل ما يحدث به الإنسان نفسه ..
لكنى لا حظت أنك كثيراً ما تفهم بطريقة ملتوية .. أنت
مليء بالأفكار المسبقة .

ميفيستوفيليس : اعترف لى بأنها فكرة جميلة من أنضج الأفكار حينما دسست
بين أشات أوراقك تلك القصاصة الصغيرة التى تحمل
عبارة « الشهوة المجنونة » .

فاوست : انه عنوان مدهش .. هل أنت الذى أعطيته لى ؟

ميفيستوفيليس : ماذا تريد أن أفعل به ؟ خذه .. خذ العبقرية من عبقرتك
فى الشر .. لكن أظنك لن تجنى مطلقاً فائدة كبيرة من
هاتين الكلمتين الساحرتين لأنهما جعلتا الفتاة عصبية جداً ..
أما أنت .. أنت ! أنت .. شهوة مجنونة ! ها ها ها
(يضحك) اضطراب فظيع ! أنت ها ها ها !

فاوست : قلت لك إن الأمر لا يتعلق بمرجريت جديدة

ميفيستوفيليس : آمل مخلصاً أن يكون الجنس قد انتهى ... فنحن لم نعد لا أنا

ولا أنت ، كل حسب طبيعته ، في حاجة إلى وصل شهاب
هائد بعذرية تكمله .. ومع ذلك في الامكان دائماً التفكير
في هذا الأمر .. أنا شخصياً أفكر دائماً في كل شيء ..
فسر لي موقفك إذن مادمت قد استدعيتني ..

فاوست : أنا ؟

ميفيستوفيليس : نعم أنت .. لقد فكرت ثلاث آلاف وميتين مرة في
خادمك القديم منذ ثمانية أيام ... منذ أن وضعت فتاتك
الشفافة قدمها عندك ... وشعرت من بعيد جداً بلذبة
وثنين الفكرة التي لديك هي ، ولكني لم استطع معرفة سبب
هذا ومقصده ؟ فعقلك المتبحر جداً ، المعقد جداً ،
المختلط بالمعارف العجيبة ، المستوهب لكل التحليلات
القصوى ، المملوء بكثير من المتناقضات ، في منتهى
الحنون ومنتهى اليقظة في آن واحد ، لدرجة تضل فيه نفسي
فلا أعرف أبداً إلى أين يتجه وأي شيء يريد . وطالما أنت
نفسك لا تعرف ، فأنا لا أستطيع أن أعرف أكثر منك ..
لكني مع هذا نفذت ثلاث آلاف وميتين مرة إلى هذا
الخليط المشوش للنفس ، بناء على رغبة معينة أو الحاجة في أنه
أرى نفسي .. لرغبة أو الحاجة .. في هلاقة خامضة مع
تلك الفتاة لوست التي نحن بصدد الحديث عنها ... أنا
أيضاً لي أذنان .. أذنا تيس ... يفهمان .. بلا قرطين

فاوست : ربما تكون على حق ... لدى مشروعات ... الحب خارج

هذه المشروعات.. أما لو ست فتواياي نحوها بسيطة و طاهرة
تقريباً .

ميفيستوفيليس : في هذه المشروعات شيء من الجنون .. وفيها ما يشبه تخطيط لشهوة

فاوست : لا أدري ما إذا كانت وحشيتك تستطيع فهمي .. الأرواح
القياسية كالأفعال الظاهرة بحكم جوهرها .. فهل تستطيع
إدراك أنني في حاجة إلى إخلاص محرب إلى نفسي .. إلى
صحبة حلوة لطيفة على أتم استعداد لأن تكون رفيقة؟
هذا شرط .. رفيقة جداً .. نعم .. الرقة .. لا أكثر ولا أقل ...

ميفيستوفيليس : الرقة بعري تام ..

فاوست : لا .. الرقة بملايس تامة .. هذا كل شيء .. لست في حاجة
إلى توضيح أكثر .. لست في حاجة إلى حب ، أعرف تماماً
أنه يفضي إلى الدمار والتفوز والهلاوي .. إنه البرودة ..
إنه الكراهية أو الموت الذي ينتهي بهذه الألعاب ..
الأعيب الجسد أو القلب ... ويصني حسابهما في الملذات !
أكرر لك قولي إنني لا أريد إلا صحبة حلوة قريبة من فكري ،
ومساعدة حساسة ذات تأثير لأنها يجب أن تعمل .. لو ست

ميفيستوفيليس : تحتك

فاوست : دعك من حماقاتك هذه .. قلت لك لست إلا روحاً ..
ولم تكن للروح روح أبداً ... أن يكون لي ، ليس معناه
أن أملك .. المهم أجد بقربي إنسانة جادة نسبياً في المرح
ومرحبة نسبياً في الأمور الجادة .. رفيقة نسبياً في العمل ..
شغالة نسبياً ...

ميفيستوفيليس : فى الرقة .. أنشر هذا فى الاعلانات المبوبة

فاوست : لكن أظنى عثرت عليها..

ميفيستوفيليس : وأنا أظن من عثرت عليها عثرت عليك . كل هذا لا يفسر لى قط ما يجب على عمله الآن فى موضوعك الشائك هذا .. ماذا تريد ؟ ماذا جئت افعل هنا ؟ أنت لم تعد جزءاً من اهتماماتى ... لقد صفينا حسابنا .. أما عن الانساعة المرحه نسبياً إلى آخره ، فسوف تسير وحدها إلى حيث تسير . سوف تعدو .. لا جدوى من الانشغال بهذه المسألة ... وبعد ؟

فاوست : 'تستطيع أن تخدمنى فى ناحية أخرى .

ميفيستوفيليس : عارف .. لا أحد يفكر فى تفكيراً بلا منفعة ، وهنا يكمن المصير المؤلم لكل القوى الحقيقية .. فالكل يتخذنا خداماً متخصصين فى الأعمال الموبصة التى تحتاج إلى مواهب تفوق مواهب البشر ... يتشفعون بالقدسين ويستحضرون الشيطان ... دون أن يخشوه عن قرب . وبمجرد أن ينفدوا بجلودهم من المشكلة ، لا يهمهم ما إذا كانت النجدة قد لحقتهم من فوق أو من تحت ..

فاوست : مضبوط .. الانسان فى منتصف الطريق بين الاثنين . لكنى لم أنه بعد من كلامى .. أريد الاستعانة بك ... لكن فى عمل يختلف تماماً عن كل الأعمال التى يستعين بك الناس فيها بوجه عام .

ميفيستوفيليس : الشر محبوب إلى الجميع .

فاوست : مهلاً ... أريد الاستعانة بك، وربما أسدى إليك خدمة معينة نظير ذلك .

ميفيستوفيليس : لى أنا ؟

فاوست : إسمع .. لا أستطيع أن أخفى عليك بأنه لم يعد لك تلك المكافأة العظيمة التى كنت تتمتع بها من قبل .

ميفيستوفيليس : تظن هذا ؟

فاوست : أؤكد لك ... أنا لا أتحدث عن حصيلة أعمالك أو حتى عن صافي أرباحك، ولكنى أتحدث عن النفوذ والقيمة والشرف .

ميفيستوفيليس : ربما .. ربما

فاوست : لم تعد تخيف كثيراً .. ولم يعد الجحيم يظهر إلا فى الفصل الأخير .. لم تعد تتسلط على أرواح أهل هذا العصر . حقيقة يوجد بعض جماعات الهواة الصغيرة والبدائيون .. لكن طرائقك زالت يزوال عصرها .. وأصبح تكوينك الجسماني مضحكاً ..

ميفيستوفيليس : ربما وضعت نصب عينيك إعادة شبابى ؟

فاوست : لم لا ؟ كل بدوره

ميفيستوفيليس : مضلل ..

فاوست : أريد فى الحقيقة تسليتك بعض الشيء ... وهى وسيلة وجدتها كى أسلى نفسى أنا شخصياً بعض الشيء .. سوف نتبادل السلطة ..

ميفيستوفيليس : لا أفهم .. هل تجرؤ وتدعى أنه من الممكن أن أكون
في حاجة إليك ؟ ؟

فاوست : أنا أعرف ما أقول .. أنت من عالم غير عالمنا .. عالم
الأبدية يا صديقي .. ولست سوى روح .. وعلى هذا فليس
لك فكر قط .. ولا تعرف الشك أو البحث ... وفي أعماقك
ساذج للنهاية .. ساذج ذالمر الذي يشتهي الفريسة
فيتحول إلى غريزة مجردة .. غريزة الاقتراس . إنه يدين
بكل شيء إلى الأغنام والماعز ، عضلاته ... مخالبه ..
دهاؤه .. صبره العجيب .. لا شيء أكثر من هذا فيك
أكل أرواح لا تعرف مذاقها ؟ أنت لا تشك حتى بأنه
يوجد في هذا العالم شيء آخر غير الخير والشر ... لن
أفسر لك هذا .. لن تكون قادراً على فهمي .. فقط أقول
لك .. يمكنك الاحتياج إلى واحد يفكر ويتأمل من أجلك ..
والروح النقية وحتى غير النقية ليست أهلاً لهذا .

ميفيستوفيليس : لم يخاطبني أحد قط بمثل هذه اللهجة .. منذ زمن بعيد جداً
على الأقل .. تقول إنني غير قادر على التفكير ؛ أنا الذي
نفذت إلى كل أفكارك ..

فاوست : لا .. أنت تتحرك كالصاعقة في أكثر طرق الطبيعة البشرية
قصراً .. طرق الشر .

ميفيستوفيليس : كل هذا محل بحث .. أنت شخصية خريبة جداً ، لقد عرفتك
قلة من الناس أمكنهم أن يعرفوا وأن يتمكنوا ، وأن يرغبوا

مثلك في أن يئأوا تماماً ، هن اللعبة . لقد مرت من بين
أظافري هذه مليارات من الأرواح .. وسواء تفدوا
يجلودهم أم لم يتفدوا ، فما وجدت إلا عدداً ضئيلاً منهم ..
يمكن أن يتفردوا بصناعاتهم ، فلا يشبهون الآخرين ..
رأيت عشرات الآلاف يسمون قبصر في مثل المعية يوليوس
ومن هم في مثل المعية سوفوكل وأرشميد وأفلاطون
وكونفوشيوس وبراكزيتيل ... كثيرين ... وأنا لا أتحدث
عن ذوات الجمال اللآتي كن يعتقدن ألا منافسات لجمالهن ..
والفنانين المبرزين ذوي المكانة المرموقة وكثيراً من النساء
وكل صانعي المعجزات ... وآه لو عرفت كم هو مسل
ومضحك تأمل كتل من الناس النادرين وهم يلتصقون
بعضهم ببعض كجموع النحل .. هذه مجرد نظرة واحدة
من نظراتي الجميلة .. كل واحد من هؤلاء الذين سردهم
عليك كان يعتقد أنه الفريد في بابه ، وفعل دون شك كل
ما في استطاعته حتى لا يشبه المواهب الأخرى في رقتها
أو في عنفها أو في عمقها كي لا يكون له نظير قط ... وقد
كان حسبي وقتذاك أن أواجه عبقرية بعقرية من نفس
نوعها كي ألقى في اليأس الأبدى بكل المتعجرفين من
المتأزين واثبت أقدامهم فيه .. ومن هؤلاء نفر كانوا
كالناس الذي قد يبدو لمعانه لعينيك كالمعان الزجاج .
وهذا النحيم المصهور يمكن أن ترصف به الشواطئ ،
أو يمكن أن تمتلئ به أحشاء البراكين !! آه لو عرف الناس

مدى وفرة ما هو نادر ، ومبلغ الرجال الممتازين خلال
آلاف القرون !! أما أنت فأنك تحظى باهتمامى ... حالتك
ربما تكون من حالات ماس العظمة هبطت إلى الصنمر ...
لكنك تحظى باهتمامى ... ربما تكون حالتك من الحالات
الخاصة تماماً .

فاوست : أرحتنى .

ميفيستوفيليس : نعم .. لا السماء تمكنت من الفوز بك ولا الجحيم .. وها هم
الناس يقولون أنك تقيأت شهد وعودهم . كما تقيأت حقد
وعيدهم .. ومن هنا يجيء إعجابى بك . وهذا يدهشنى ..

فاوست : إذن لنعقد صفقة ..

ميفيستوفيليس : اكنك لم تفصح لى عما تريد .

فاوست : اصنع لى .. أريد القيام بعمل جليل ... كتاب

ميفيستوفيليس : أنت ؟ ألا يكفيك أنك أنت نفسك كتاب ؟

فاوست : لى مبرراتى .. سوف يكون هذا الكتاب مزيجاً ذاتياً
لذكرياتى الحقيقية والمزيفة وافكارى وتكهناى والنظريات
والاستنتاجات المستخلصة جيداً والتجارب الوهمية ،
وبالجملة كل جوانبى المتعددة .. كتاب يمكن الاستعانة به
فى شتى النواحي أو عدم الاستعانة به فى أية ناحية .

ميفيستوفيليس : لى هذا يجديد تماماً ... كل قارىء كفيل بمثل هذا العمل

فاوست : ربما لا يقرأه أحد .. لكن الذى يقرأه ان يقرأ بعده كتاباً
آخر .

ميفيستوفيليس : سوف يموت من السأم ..

فاوست : أسكت .. أود أن أكتب هذا السفر بأسلوب من يبدع
يسمح بانتشار العجيب بين الناس في روعة الهوى وانطلاقه
إلى غايته، ونقل النثر إلى الشعر، والحقيقة السمجة إلى مثل
عليها أكثر .. أكثر رقة .

ميفيستوفيليس : أنا لا أعرف خلاف هذا ..

فاوست : أسلوب يقترن في النهاية بكل ذبذبات النفس، وكل وثبات
الروح . ويكون كالنفس ذاتها تتحمل أحياناً تبعه ما تعبر
عنه وتبدو كإرادة تعبير . أسلوب كجسد حي لمن يتحدث
به ، كيقظة فكر تبهر فجأة لأنه استطاع لبعض الوقت أن
يمتدح بموضوع ما . وإن كان هذا الامتراج بالضغط هو
روحه ودوره .

ميفيستوفيليس : هو هو ... ظاهر للعيان أنك عاشرتي . أسلوبك هذا
ميفيستوفيلي تماماً يا سيدي المؤاف .. المهم أن الأسلوب
هو الشيطان لقد أعطاني الأكبر مني مثلاً للاستعارات .

ميفيستوفيليس : بحق حريتي المشعبة، أوافقك على هذا .. فلو حدث مثلاً
أن سرقت امرأة جميلة حلي ثرية قبيحة، فإني لا أرى في
هذا إلا وضعاً للأمور في نسقها الطبيعي، وعوداً مضبوطاً
لحالة الانسجام . وأنا أساند هذا الانضباط بكل ما في
وسعي . إنه لمن العدل وأصول اللياقة أن تصبح الجميلة
أكثر جمالاً وألا تفتت القبيحة على القانون الذي جعل
منها شيئاً يدعو إلى الرثاء يتجنبه النظر .

فاوست : في رأسي إذن هذا العمل الكبير الذي يجب في النهاية أن يتخلص منى ... وهو من ذات نفسي تماماً ، وقد انفصلت عنه فعلاً ... أريد أن أتخفف من هذا العبء وأنفلت إلى الأبد من كل ما هو مشابه لشيء ما .. وألقى بنفسى في أحضانك أو في أحضان زميليك القديمين ؛ الروح والانطلاق ، كجوال الآفاق الذي يتخفف من متاعه ويمشى إلى المغامرة غير مبال بما ترك وراءه .

ميفيستوفيليس : إذن تريد أن تصبح أديباً وتتحول إلى غازي متواضع ! في هذه الحالة سوف يصبح من الصعب على أى إنسان أن يمسك بقلمه .. أأكتب أنا ؟

فاوست : هذا بالضبط ما يجب على كتابي الكبير أن يفعله .. أن يخلصنى دفعة واحدة ..

ميفيستوفيليس : وأنا ؟ هل ترانى شرابة نخرج ؟

فاوست : عجباً ! يا لها من فكرة مضحكة .. لكنى سأكون في حاجة إلى لوست وإليك بالذات .. سوف أقودكما أنما الاثنين ، بفضل نفوذك ، إلى أماكن متعددة من العالم حيث أود تماماً رؤية الشيطان التقليدى الذى هو أنت .. لا أستطيع أن أخفى عليك أنك تبدو متخلفاً عن هذا العصر جداً وأنت لا تدرك التجديد الهائل في حياة إنسانه .

ميفيستوفيليس : الإنسان هو هو دائماً ... وأنا كذلك .. لا أزال مثابراً ..

فاوست : مثابراً في الخطأ الأبدى .. فتحى الآن لا تزال وسائل عقل

الانسان ضعيفة ؛ ذلك العقل الذى لا يحس غير أسطح الأشياء ويتعدى جوهر الحياة . إن أعظم الملوكة لم يكن ليستطيع غير القتل والدمار .. وكل ما كان يتصوره الانسان متفوقاً على هذه السلطة المحدودة جداً، كان يبدو وكأنه خاص بنظام يفوق الطبيعة . فعاش السحر فى هذا الظن ... أنت تعرف شيئاً عن هذا يا ميفيستوفيليس النابه ... لا بد وأنت تعرف هذا بقدر ما تعرف نفسك .. فما أنت إلا حصيلة تقاليد .

ميفيستوفيليس : تعنى خرافة .. بعد أن كنت شرابة خرج ..؟

فاوست : أعتبرك كيف ما تكون حالتك .

ميفيستوفيليس : حتى فى الوقت الذى تطالب منى أن أقدم لك خدمة .. بالله من إنسان .. كلهم متشابهون .. دائماً هم هم .

فاوست : أنا أود خدمتك وإفهامك أولاً إلى أى حد سيكون لمركزك الخاص شأن خطير جداً بفضل التبادل الذى قلت لك عنه .. إقبل ... فالانسان مجرد يوماً بعد يوم نفس الانسان الذى صنعه منذ آدم المسكين .. لقد كرست نفسك لمحاولة تضليل هذا النموذج القديم وإضاعته جيلاً بعد جيل .. وها أنت لا تزال تمارس حرقك .

ميفيستوفيليس : آسف .. إن فى ..

فاوست : فنك ، إنما يتبع منهجاً موقفاً حتى الآن .. فأنت تطبق أوليات علم القلب تماماً فى بساطة جد ملائكية ونابهة بدلا

من تزويده ببعض حيل عام الطبيعة الضحك ؛ هذه الحيل
التي لا تكاد تتغير .. انتظر ! دعني أكلمك. فبينما كنت
تستسلم للخمول في أبديتك معتمداً على وسائلك التي
اتبعتها منذ السنة الأولى للخليفة ، وصل الأمر يفكر
الإنسان الذي خاصته أنت ذاتك من بلاهته ، إلى حد
مهاجمة أسرار الخليفة .. تصور هذه الأنفس وقد وجدت
تلك الفوضى القديمة داخل أجسادها وكجزء لا يتجزأ
من واقعها . ١١

ميفيستوفيليس : الفوضى .. تلك التي عرفتھا ؟ لا يمكن

فاوست : في استطاعتي أن أريك هذا .

ميفيستوفيليس : الفوضى ... ؟

فاوست : نعم .. الفوضى .. الفوضى القديمة .. ذلك الحال الأول
في المتناقضات التي تفوق الوصف والتي كان فيها الفراغ
والزمان والمكان والضوء والممكنات والفضائل في حالة
مستقبلية .

ميفيستوفيليس : وجدوا الفوضى ؟ كنت رئيس الملائكة آنذاك .

فاوست : وها هم يبدأون في التماس قوانين الحياة .. إصغ إلى : إنهم
من الآن فصاعداً لن يتوهوا في أفكارهم . لقد فهموا أن
العقل وحده لا يستطيع إلا الإفشاء إلى الخطأ وأنه لا بد
من تثقيفه ووضعها تماماً تحت التجربة . وتحولت علومهم
إلى قوى تطبيق ثابتة البراهين .. ولم تعد النظرية العلمية

إلا شيئاً مكتملاً ... إصنع أيضاً : ولا شيء مما اكتشفوه
يشبه ما تصوره من قبل ... لم يتبق شيء إلا من الحقائق
ولا من الأساطير التي وصلتهم من الأزمنة الأولى .

ميفيستوفيليس : هذا فطيع .

فاوست : أراك بدأت تنفعل .. وهذا الانفعال يهمني ، لأن فكرتي
هي أن أجعلك ترى كل هذا عن كثب .

ميفيستوفيليس : مع الفتاة ... ؟

فاوست : نعم ، أريد أن ألاحظ ، كما أريدها أن تقيد ملاحظات
لكتابي الضخم عن ردود فعل الشيطان تجاه كل الانفعالات
التي لا تستطيع رؤية العصر الحديدي عدم اثارها في الروح
الجهنمية ... فكر فكر أيها الشيطان ، فهذا التبدل العجيب
يمكنه النيل من شخصك الخفيف أنت ذاتك . إنه نفس
مصير الشر الذي أصبح لعبة في يد القدر .. هل تعلم أن
هذا العصر ربما يكون نهاية العقل ؟ هذا العقل الذي فرض
على كل إنسان كالأحاساس القوى بقيمة فذة أبدية مثل
الرغبة التي لا تنضب والمقدرة على الاستمتاع والمعاناة ؛
قيمة ليس من سبيل إلى تغييرها أو الاستهانة بشأنها . وها هو
الإنسان يموت ويدوب في الجحاهير وتختفي الفوارق أمام
تكديس الآدميين ، ولم تعد الرذيلة أو الفضيلة سوى خصلتين
يصعب التفريق بينهما وتلدويان في كتلة ما يسمونه بالمادية
البشرية ، ولم يعد الموت سوى لازمة من لزوميات إحصاء
هذه المادية الخيفة . لقد فقد فيها مترلته ومعناه ... التقليدي ..

لكن خلود الأرواح يتبع بالضرورة مصير الموت ذاته ؛ ذلك
الخلود الذى يفسره ويعطيه معناه وقيمته اللامحدودة .

ميفيستوفيليس : أنت تقذف رعباً .

فاوست : هذا هو الواقع ... لا شيء من عندى فى هذا ... فقط
كان لابد من تنويرك بما هو حاصل كى أتوصل إلى إغرائك .

ميفيستوفيليس : إخلص ... ونخذ قرنى بعد هذه المواجهة .. وعلى أية حال
فسوف تتسلم قرنيك نظيفين يا معلمى .

فاوست : لم يعد هناك وقت للهدر .. هأنذا أنهى حديثى .. هل أنت
متأكد تماماً يا شيطانى ، أن مركزك السامى محتفظ لك به إلى
الأبد .. وأن الانسان لن يجد فى السموات العلى أنك عميل
فترت همته ولا يجدد وسائله التى أصبحت تغل قليلاً ؟
إن وظيفتك من أكثر الوظائف أهمية فى إصدار الأحكام
العليا ... لكنك ربما لم تعد تتمتع بنفس الثقة ... وليس
مكتوباً أنه لن يأتى شيطان آخر أشد سوءاً منك .

ميفيستوفيليس : يا عزيزى .. رئيس الملائكة لن يستبدل بأحد غيره أبداً ..
أنا سقطت ولكن من أعلى عليين ..

(يبدو ميفيستوفيليس مضاء لحظة بضوء خافت بنفسجى)

فاوست : لاشك .. لكنك سوف تدرك حينها تتعرف أكثر على أناس
هذا العصر إن كل تدبير كنت عنصراً من عناصره
الأساسية لم يعد لإدمارا وانحلالاً . لابد أن تعرف أنت ذاتك
باحساسك بالضياح ، وبأنك أصبحت مغلول اليدين بين كل

هؤلاء الآدميين الجدد الذين يقترفون المعاصي دون أن يدركوا ما يفعلون ودون أن يعلقوا أية أهمية عليه ... والذين ليس لديهم أية فكرة عن الخلود والذين يغامرون بأنفسهم عشر مرات في اليوم كي يستمتعوا بما صنعتهم أيديهم من اختراعات جديدة تفعل ألف سحر مما لم يحلم به سحرك ... والذين سخروا أنفسهم للأطفال والاعتياء .. والذين أضافوا الى كل هذه المعجزات أعمالا لا يمكن تصورها ..

ميفيستوفيليس : هل يصنعون الذهب ؟

فاوست : سوف يصنعونه قريبا ... بالرغم من أن الذهب نفسه مشرف على الموت .. هاهم يحصلون على معادن أكثر قيمة منه ... أكثر مائة ألف مرة .

ميفيستوفيليس : ماذا ...! عجل الذهب (١) ..

فاوست : غدا يصبح أرخص من العجل الحقيقي

ميفيستوفيليس : هل يبعثون الموتى ؟

فاوست : ليس لهم أقل رغبة في هذا ...

ميفيستوفيليس : لماذا ؟ كانت هذه قضيتهم الكبرى

فاوست : لانهم وجدوا أن كل انسان يجب أن يأخذ دوره وأن

الداخلين إلى هذه الدنيا يجب أن يتبوأوا أماكنهم

ميفيستوفيليس : آه ... لانهم أقوياء اليوم . اخشى أن يكونوا قد ادرکوا

هذا ... انه لامر خطير .. أوه .. كنت أرى جيدا من

(١) إشارة الى العجل الذهبى الذى كان يعبده العبرانيون فى سيناء

وورد ذكره فى القرآن الكريم - المترجم .

خلال نظرتي الخاصة إن كل شيء يعزى إلى الشيطان ...
الناس يرتدون ويتبدلون ويلجأون إلى الاعتراف كي
يتزوجوا أو ليكتبوا كتابا. ويعبثون بالديانات كما لعبثون
بطائرات الورق.. ويعمّدون في الهند كي يلبسوا سراويل ،
وفي باريس كي يدخلوا الأكاديمية .. ويتزوجون ويطلقون
ويتزوجون مرة أخرى طالما أن الكنيسة تفقد صوابها بين
الحل والعقد والزيجات المختلطة لزوجات حقيقيات وغير
حقيقيات .. أنها لم تعد تفرق بين التحليلات والزوجات ،
بين من دخل بهن وبين من لم يدخل بهن .. آه .. لقد
أصيبوا في روما بالصداع (١) ... أما فيما يتعلق بي فأنا مضطر
إلى إعادة تطبيق شريعتي .. خاصة مع الأمريكيين الذين
يملكون وسائل ضخمة .. إنه لشيء مخيف .

فاوست : يالك من شيطان بائس

ميفيستوفيليس : نعم.. ويالهم من آدميين بائسين ! كان الشر جميلا جدا فيما مضى ..
كنت فيه الذكاء والأساس . وكان الألم والسرور بالنسبة لي
كوترى فيثارة خاصة أعزف عليهما كما كان يفعل أورفي (٢)

(١) إشارة إلى البابا .

(٢) ابن ملك تراقيا من كاليوبس ويقال إنه ابن أبولو من كليو . كان
يعزف فتشيع الحياة في الصخر . وكانت الوحوش تسكن إليه وتجتمع من
حوله لتنصت إلى عزفه . وكانت له زوجة اسمها يوريديس مصدر الهامه
ومعين عبقريته وجمال لحنه . سئل مرة : ماذا تملك من الدنيا يا أورفي ؟ فاجاب
قيثارتى ويوريديس . وقد خلد هذا الاسم الاسطوري في لوحة للرسم
الفرنسي بوسان باسم « أورفي ويوريديس » وفي دراما غنائية « أوبرا » وضع
موسيقاها جلوك باسم « أورفي » . وفي أوبرا أخرى وضع موسيقاها أوفنباخ
باسم « أورفي في الجحيم » - المترجم .

فاوست : لم يعد هناك جمال . لقد انحط الشر ... أنت معى اذن ...
هل رأيت ماينتظرك إذا بقيت ذلك الشيطان القديم صاحب
الغوايات القديمة ؟ إنهم فى السماء يعتبرونك غير مرض
ولم تعد تصلح إلا لحراسة الأسوار فى أعماق جهنم ...
وحيثلا ربما لا تترك هنا أية ذكرى إلا فى مسرح الدمى
بحكم الصنعة .

ميفيستوفيليس : بعد كل هذا ... من المحتمل ألا أصلح لشيء ربما
اعتمادا منى على فكرة خاطئة ...

فاوست : وما هى ؟

ميفيستوفيليس : ليس الناس بلهاء حتى يلقوا بأنفسهم الى التهلكة بوسائلهم
الخاصة .

فاوست : أنا لا أرى شيئا فى الحقيقة لا يجعل الحق فى جانبك ..
لكن هل قررت ؟

ميفيستوفيليس : هيا .. ليكن .. موافق
(يكشف عن ذراعه المكسوة بشعر كثيف)

فاوست : كف عن الحماقات .. لا داعى لأخذ دم .. المسألة لا تتعدى
الشكليات الطبية .. تكفى الاوراق والتوقيعات ... الكتابة
تنتشر اليوم أسرع من الكلام الذى ينتشر بدوره أسرع
من الضوء .. لم يعد أحد يرغب فيما يكتب . اذن اتفقنا ..
أنادى الفتاة ؟

ميفيستوفيليس : لا داعى .. حدث .. هاهى آتية تلهث ... لا تزال فى
جعيتى بعض الحيل الصغيرة .. هل تسمعها ؟
(تسمع لوست وهى تصرخ)

المنظر الثالث

فاوست — ميفيستوفيليس — لوست

لوست : أستاذ ... أستاذ ... أدركنى (تدخل) تعال حالا ... ناد
كل خدمك

فاوست : ماذا حدث ؟

لوست : النار ... فجأة اندلعت فى المعمل ... تعال حالا .. كل
شيء يشتعل

ميفيستوفيليس : لا داعى ... انتهى

لوست وفاوست (معا) : آه آه ...

ميفيستوفيليس : نعم

لوست : آه فهت ... هو أنت ياسلام (تنحنى بالتحية)
أنت لا تخيفنى أبدا .

ميفيستوفيليس : أمل هذا يا صغيرتى الجميلة .. لوأنتى أخيف فلن أكون
شيطانا مطلقا فقط أستطيع بث الرعب ..

لوسـت : أوه .. أعتقد أنك تستطيع التحول الى شخص مفزع ..
إلى حيوان مخيف ، إلى غول ، إلى أخطبوط ، إلى قرد .

ميفيستوفيليس : إذا لا أظهر دائما بمظهرى المخيف .. وجدير بالإنسان أن
يكون أقل خوفا حينما أبدو بهذه الحياة.

لوسـت : لكن لا يخامرني أى احساس بأننى حقيقة أرى الشيطان.
لن يكون عندي ما أحكيه عنه .. أنت ظريف جدا هكذا ..
مثل كل الناس .

ميفيستوفيليس : حذار لا شيء أشد خطورة من كل الناس .. فلتصغى
إذن قليلا إلى مايقوله كل الناس عن كل الناس .

لوسـت : أوه .. أعرف .. قول مملوء بالسم بكل تأكيد

ميفيستوفيليس : (بصوت منخفض) ولو عرفت مايقوله كل الناس عنك ..

لوسـت : عني ؟ ماذا يقولون ؟ لا يستطيعون قول أى شيء ..
ماذا يقوون ؟

فاوست : لاثر حفيظتها ضدى ياروح الشر .

ميفيستوفيليس : إذا لا أريد سوى إعطائها فكرة ما من عند الشيطان ..
إنطباع بسيط .. يا صغيرتى الجميلة .. هل تصرين دائما
وأبدا أن يكون لديك خوف منى ؟

لوسـت : لا أدري ياسيدى

ميفيستوفيليس : اقتربى منى ... اقتربى ... عجباً ... ها أنت الآن تقتربين
منى بمحض إرادتك ... انظرى فى عيني ... تركيز
جدا ... أكثر تركيزا

(تصدر من لوست صرخة فتعني وجهها)

فاوست : حذار .. لا تعذبها .. ماذا أريتها في مقتلتيك ؟

ميفيستوفيليس : شيء بسيط جدا ... أعماق أعماق تفكيرها

لوست : آه ... يا لله

(نسقط على كرمي)

فاوست : أشت

(تقفل فمها)

لوست (مرتعشة) : أظني رأيت شيئا من الجحيم

ميفيستوفيليس : لا .. لا ... اقترني مني قليلا مرة أخرى أيتها الفتاة البللورية.

أريد رؤيتك في شفافتك بطريقي .. تعالى .. تعالى

(تتجه اليه كالأخوذة) هنا هنا ... أديرى ظهرك لي هنا ..

هنا ... الآن لا تخافي ... لا خوف ؟ لا خوف مرة أخرى ؟

هنا .. سأمسك قفالك الآن .. هنا ... سوف لا ألحق بك

شرا ؟ أنا لا أقترف الشر أبدا .. هنا ! بخفة .. بخفة جدا ...

هنا (كل اطرافها ترتجف) هل ألحق بك شرا ؟ .. لا

(يبطء بحيث يمر وقت بين كل مقطع وبصوت عميق) هـ

المساء ... هـ لذا المساء نم ... ت في الساعة الثانية

(صمت) كان الجـ و ... حارا ... حارا جدا ...

نم ت نم ت على ظهرك .. على ظهرك ..

بملء جفنيك بملء ... جف ... نيل ... وحله .. ت

أن (يسر في أذنها وهي تتقصع تحت قبضة يده) عظيم ..

ثم ... استه يقظت اسه ... تيه .. قظت ...
 أسه ... تيه ... قظت ... اسه .. تيه ... قظت ..
 اسه ... تيه ... قظت وأتت وأنت ...
 (يسر لها بشيء في أذنها ثم يخلى عنها فتركع على ركبتيها
 ثم على يديها وتقف دامعة العينين وتتعب ثم تهول
 مخفية وجهها المحمر) .

فاوست : هذه ندالة ... انك تفرزني ! لقد سحقتها مع أننا سنعمل
 جنباً الى جنب ..

ميفيستوفيليس : عجباً ... هذا شيء تافه ... شهوة مجنونة
 (يهز كتفيه) ...

ستار



الفصل الثاني

في حديقة منزل فاوست

المنظر الأول

فاوست — تلميذ شاب

فاوست : (بمفرده وهو يكرمش ورقة ويفردها) : لا ... بالتأكيد لا ... لا يمكن أن أقرر بيع قطعة الأرض البسيطة هذه وهذا البيت المتواضع .. أحفظ بهما ... حجة قاطعة على كل حال ... أحفظ بهما .. يجب أن أتخلى عن هذا .. أحفظ بها .. اذن هي تحتفظ بي .. لكن اذا تغلب مبدئي على جمال المكان فسأتمسك إذن بمبدئي .. مبدئي يمسكني .. لكن اذا بعث فلا بد أن أشتري شيئا آخر .. يالها من بلبلة ! بمجرد أن تتكون العادة تقيد وتخاص (يجلس) أنا أحب كل هذه الاشياء .. كل نبتة من هذه النباتات التي أنظر اليها وقتما أشاء واتجاهلها حينما تعجبني ... آه لو كانوا يعلمون أنني اذهب كل صباح لأحي شجرة الدلب (١)

(١) شجرة تنبت في اواسط اوروبا وليس لها نظير هنا .

الحميلة وأقبلها من كل قلبي ... هذا النذل موثق العقود ..
هل يظننى لا أعرف قراءة ورقة الدعوى ؟ يا لرجال
القانون هؤلاء !
(يدخل التلميذ)

التلميذ : أستاذى .. يا أستاذى (تحية تبجيل) هل هذا فى الامكان !
إنى أحبيك باحترام ... آسف .. أنا فى غاية الانفعال .

فاوست : مرحبا بك أيها السيد ... لا تتفعل أمام أى إنسان
التلميذ : أنت لست كأى إنسان يا أستاذى ... هل فى استطاعة أى
إنسان أن ينجز ما أنجزت ... كل هذه الاكتشافات ...
وهذه الكتب التى قرأت معظمها وأعدت قراءته فى الطرف
الآخر من هذا العالم الذى أتيت منه ؟ لو أنك تدرك مترلك
بالنسبة لى وبالنسبة لكثيرين غيرى ! لا تؤاخذنى إذ أعبرك
لك بهذه السطحية عن عمق ما اشعر به .. لم أستطع مقاومة
الرغبة فى رؤيتك والتأكد من وجودك يا أستاذى .

فاوست : أنت آت من الطرف الآخر من العالم ؟ اذه بعيد ... أجلس
أرجوك .

التلميذ : لا يا أستاذى ... لا تؤاخذنى لن أجلس فى حضرتك

فاوست : أين هذا الطرف الآخر من العالم ؟ أرغب جيدا فى القيام
برحلة تؤكد لى أنا أيضا وجودى ... لقد قمت بجولات
أخرى أعادتني فى النهاية الى هذا المقعد وعلمتني أشياء
كثيرة .. لكنها لم تعلمني شيئا عن نفسى لم أجده أولا
فى غرفتى أو فى هذه الحديقة .

التلميذ : جميلة هذه الحديقة ... لكن لا بد أنك عرفت مهاج كثيرة في هذا الركن الصغير الهادئ ..

فاوست : أعرف فيه كل يوم بعض المضايقات الصغيرة ... القواقع والحشرات الصغيرة وكل هذا الكون الصغير الذى يقاوم ..

التلميذ : ورغم هذا يا أستاذ فانك تعيش هنا بين عبقريتك الخلاقة وعظمتك الآيلة اليك من رحابة عالم الفكر

فاوست : نعم نعم ... أعتقد أن عبقريتي ما هي إلا تعودى أن أفعل ما أستطيع . ولنفرض بناء عليه أن هذا بالضبط هو ما يطلق عليه الناس كلمة « عبقرية » ، إننى معجب بأن تكون العبقرية قد اتخذت شكلا منتظما ووتيرة واحدة لاعادات وان تكون قد خلقت منى - على حد قولك - أو بواسطتى من الساعة كذا إلى الساعة كذا كل يوم تقريبا ... لقد خلصت من هذا تقريبا إلى أن ليس عندى عبقرية أو على الأصح هذه العبقرية التى يتحدث عنها الناس ليست كما يتصورونها .. وعلى أية حال فانه لمن العجيب أن توزع هدايا القدر على كثير من المغمورين ..

التلميذ : آوه .. ماذا تقول يا أستاذ .. ! ؟ لا شك مطلقا فى أنك مشعل هذا العصر بعينه ... كل الشباب يعلنها بصراحة ..

فاوست : هذا العصر ؟ ربما .. لأن هذا العصر لا يساوى شيئا ، ومشعله هو ذلك المشعل الذى هو أهل له . أما الشباب .. فاسمح لى .. متاحة له بالضرورة كل فرص التفرير بنفسه .

التلميذ : حقيقة أنا في غاية الحجل من تواضعك وبساطتك يا أستاذ ..
كما أنني أشد تأثرا مما كنت عليه حينما قرعت بابك .

فاوست : لا أظنني يا صديقي متواضعا .. وآمل ألا اكون بسيطا ..
لكنني متعب من كل ما يعوق الوجود ... إنه لمرهق ومقزز
أن يتصور الانسان نفسه عظيما . والذين يسرهم هذا
يشيرون الاشفاق .

التلميذ : لكن المهم يا أستاذ أنك تدرك العمل المدهش الذي قدمته إلى
الانسانية . إنه مائل للعيان لا يموت . يكفي كتابك
« في التهذيب » وهذا البحث الفذ في « هيكل الروح »
والذي لا يفارقني أبدا وأحفظه عن ظهر قلب ... تفضل !
(يخرج كتابا من جيبه)

فاوست : خرقه بالية ... أعترف أنني لو كنت أحب كتيبي فانه
يسرني أن أراها وأنا في تلك الحالة النبيلة من التعب
والقذارة .

التلميذ : ألا تحبها ؟

فاوست : لكن كيف تريد أن أحب ما لا يستطيع إلا أن تعكبر صفوى ؟
ألا تفهم ؟ شف : لو أنني فتحت كتابا من كتيبي وتذوقت
بعضه أو أعجبت به ، فأنني أشعر في هذه اللحظة بأنني
أقل منزلة من كاتبه ... فأقول في نفسي : لن نكتب اليوم
مثل هذا ... أنت عين نقصك ... إنه إخساس مؤلم .
وإذا بدا لي النص ، على العكس ، غير معقول أو مكتوبا

بأسلوب لا أستطيع احتماله، فأننى اخجل لأنى ذلك البائس
الذى كتبه ولات حين مهرب .

وفى كلتا الحالتين ، هذه التى أكونها أو التى كنتها لا بد
من البكاء . واللحظة الحاضرة دائماً ذات وجهين كوجهى
يانوس (١) كليهما محزون للغاية .

التلميذ : انك توثنى ... من يقول إننى أجد فى نفس فاوست النابه
هذه المرارة العميقة ... إنك تفسر كل ما يحبه الانسان
تفسيراً غريباً يافاوست .

فاوست : أنا يا صديق فى الحقيقة لا أحب الماضى ولا أكرمه
كما لا أحب كتبى أو أكرمها .. تلك الكتب التى هى
قطعة منه وثمرة له .. لم تعد هذه الكتب جزءاً منى ...
لم أعد أعيش فى الماضى ... هل للآنا ماض ؟ ... عشت ...
ثم هأنذا أكثر من عشت ... كيف تفسر هذا ؟ أنا لا أعرف
سوى تقديم صورة لك عن مصيرى الشديد الغرابة ..
هب أن الحياة تتمثل فى نوع من الحركة تبدأ مسيرتها
من المكان واليوم اللذين يولد فيهما الانسان وتنتهى عند
المكان واليوم اللذين يموت فيهما ... شمس أية حياة
تشرق من نقطة فى الافق وتتخلص من الضباب وأطوار

(١) يانوس Janus شخصية اسطورية لا قدم ملوك لانيوم الرومانية
منحته الالهة قدرة معرفة الماضى والمستقبل فصوره الرومان بوجهين وبنوا له
معبدا لايفتح أبوابه الا فى حالة الحرب ويظل مقفلا طوال فترات السلم
الامر الذى لم يحدث سوى تسع مرات فى مدى الف سنة .

الطفولة، ثم يطلع يوم الشاعر الكبير برغباته ومعارفه وعواطفه وأفكاره ... ويتحدد الضوء ويبهز ... ويصل نجم القوى واليقين إلى أعلى نقطة في مساره ثم يتدهور ويختفى . إذن فالإنسان نوع من الزوال لا يعيش يومه الفذ إلا مرة أخرى ، ذلك اليوم الذى ليس إلا حياته . والشمس فى حاضرها لا تشرق مرتين أبدا ولا تضى قط الا خيالات غير متناظرة بين جدة مولدها وجدة موتها ... أما أنا يا صديقى الشاب ، فقد رأيت تدخل القوى الخفية ، كما رأيت يوم حياتى يسير فى مصيره المقدر له . لقد كشف لى وجه الطبيعة الآخر والطرفان المتناقضان للخلق النقاب عن نفسيهما ... وقمت بجولة حقيقية لهذا العالم الواقعى ، ثم عدت مرة أخرى إلى العصر مثقلا دائما بعثى لاستأنف الحياة ... وهانذا أعيش .. أعيش وأرى وأعرف إن كانت الحياة رؤية ومعرفة وتكرارا للرؤية والمعرفة .. كنت تحدثنى عن العبقرية وقلت لك إنها لا يمكن أن تعنى فى نظرى شيئا آخر أو قيمة أخرى غير العادة . أن الفكرة التى تطرأ على وتكون أندر فى الندرة وأشد خرقا للمألوف لم تعد تعطينى انطبعا لشىء جديد .. وتبدو لى ، بمجرد بروزها أنها استخدمت وأعيد استخدامها مرارا ... وبعد ... ماذا تستطيع العظمة أن تفعل من أجلى وأنا أعلم أنها نتاج هؤلاء الناس الذين لا يعيشون غير يومهم اليتيم ؟

: كل ماتقوله يا أستاذ يحملنى إلى دائرة حقائق صعبة قاسية

التلميذ

حتى أنني لم أعد أجرؤ على الحديث معك في مؤلفاتك
أو في نفسك ... وكل ما كنت أعتقد في هذا ، كان
بعيدا كل البعد عما يجب أن أعتقد ... كنت مفعما
بالأسئلة ... وكنت آمل الحصول منك على إجابة تقرر
مصري وتطمئني على أفعالي بمجرد أن تخرج من فمك ..
لكني أخشى الآن أنك لا تستطيع قول شيء يتعدى آخر
الأمر ما أستطيع تطبيقه على نفسي ... وهأنذا أرى جيدا
أن مؤلفاتك نفسها لا تعني في نظرك ما تعنيه في نظرنا ،
وفي رأيك ومن واقع كلماتك أن ليس التأليف إلا هوا
وأن المؤلف مقامر مدمن مل مواهبه ولعبته في كل مساء
وفي نفس الساعة وعلى نفس المنضدة ! أما بالنسبة لنا فان
ما فعله يبدو في نظرنا ثمرة إنجاز جرىء دائما، مقنع دائما
يهاجم ما هو عالق بالنفس ولا يمكن الامساك به ، بل نحسد
لقاء ثمن باهظ . وهو يختفي إلى مالا نهاية عن كل انسان
آخر فيما عداك كما يختفي عن الغريق اليائس طوق النجاة وهو
المنقذ، يقذفه بعيدا عنه نفس الدافع الذي يدفعه الى الامساك
به ... أما انت فالناس يقولون إن قولك لا يخالف أفكارك
وإنه دائما نقي ، دائما مدعم بما يحتاج اليه من الدقة ،
مسند بما يحتاج اليه من الانسجام ، بقصد استشارة النفوس
والزامها الاستفادة من القوى والوضوح المركبين فيه
دون إدراكهما ... هذا القول الجريء الذي لا يتعرض
إلا لما يشق التعبير عنه فيرده دائما إلى مقاصده.

فاوست : لكم تتحدث جيدا .. لكن إن أنا أصغيت اليك ، فستطلب
منى نصائح يا صديقي الشاب . غير أن أحسن النصائح
لاتساوى أقل مغامرة ، ولا تجنب قط أحدا زللا ، إن لم
توقعه في زلل آخر . أقسم لك أنه يجب أن يخطيء الانسان ..
ولا شيء أجدر مما يؤخذ عن تجربة الغير .. كل السياسيين
قرأو التاريخ ... لكن يقال إنهم ما قرأوه إلا لكي يستمدوا
منه فن تثبيت أقدام الكوارث .

التلميذ : ألا تقل لي شيئا أستطيع حمله معي ، ويكون بالنسبة لي أكثر
قليلًا من ذكرى عزيزة ؟ كنت أرجو عندك كمن هو
ملدوغ بثعبان الحكمة في جسد روحه — حقنة مصل
لها تأثير عميق مدهش قل لي فقط كلمة أو حكمة
صغيرة أستطيع أن أقولها . وأرددها لنفسي على سبيل
تذكرك .

فاوست : خذ حذرًا من الحب

التلميذ : أنتهم الحب ؟

فاوست : لا أقول هذا .

التلميذ : إذن ماذا تعني ؟

فاوست : سوف تعرف ما أعنيه ذات يوم ... أنا لا أقصد بهذا
نصحا ... كل ما هنالك هدية صغيرة من أربع كلمات
أقدمها إليك .

التلميذ : هل أتجاسر وأطلب اليك فضل كتابتها بيدك على كتابي ؟

فاوست : لم أعد أكتب قط .. أملئ ... وليس هناك ما أعرفه سوى

أن توقيع اسمي بيدى قد كلفنى غالبا جدا فى الماضى ، وفى
شيخوختى .. انتظر (ينادى) لوست ! تعالى بأدوات
الكتابة ! وداعا ياسيدى ... أعتن بصحتك وأرجو لك
سلامة الوصول الى بلدك ..

(يخرج من الحديقة وينحنى التلميذ انحناءة تبجيل وتوقير) .

المنظر الثانى

التلميذ وحده

(يقوم بإشارات وحركات إيمائية لكفه عن الكلام مجبرا ..
اشمئزاز .. هزكتفين .. الخ) .

التلميذ : أما إنه لساخر محنك ! رفض حتى أن يعطينى توقيعيه ..
لم أعرف بأى شيء أرد عليه ... أنه يضايقك تماما ببساطته ..
لابد وأن تكون هذه هزلية .. آخر صبيحة فى هزليات
النوع الراقى .. ضحكك على يجولته فى العالم وبنصيحته
الأخيرة ... لم يوجع دماغه ! (مقلداً فاوست) « نخذ حلرك
من الحب » باللاتينية كافى أموريم Cave Amorem
لا قيمة لها باللاتينية . أو ربما الأصح كافى
أموريس Cave Amores لا .. كافى فينيرم Cave
Venerem هذه أحسن .. لكن كافى أموريم تصرف

الذهن إلى كهف الحب .. ربما يكون هذا اسماً لطيفاً لعبة
مظلمة من علب الليل مخصصة للنساء .. « خذ حذرك من
الحب » هذا الفاوست ساخر مقدس ... إنه ما كر يفرض
مكره .. لكن هذه النعمة المرورة ... لا يلمس حتى القلم ..
لو كنت في مكانه لكانت لي وسائل أخرى .. ليس طبيعياً
أن يكون الإنسان طبيعياً جداً .. أن يكون فوق الطبيعي ...
لا .. وحق أيمانى أحب الرجال العظام ذوى المظهر الرجولى
النبيل بالحببة العريضة والأصبع الآمر والعين .. العين
كل شيء هنا ! النهاية ، كل ما يحتاجه الإنسان كي يظهر
كيفما يريد أن يظهر ... لكنني أضايقت نفسي هنا .. بحق
الشیطان ماذا تفعل هذه السكرتيرة الضائعة هنا ؟

المنظر الثالث

التلميذ — ميفيستوفيليس

(يظهر ميفيستوفيليس خلفه)

- ميفيستوفيليس : هل طلبنى السيد ؟
التلميذ : (قافزاً) آه .. أأنت سكرتير الأستاذ ؟
ميفيستوفيليس : لو كان هذا يروقك ياسيدى .
التلميذ : إنه من أجل كتابة بضعة كلمات تفضل بارتجالها من أجل

على هذا الكتاب .. من أجل .. هيه ؟ لكنه أخبرني بأنه
لا يكتب أبداً .. وبأنك أنت ..

ميفستوفيليس : نعم .. القلم بثقله ... أنا أقلد كتابته القديمة بشكل مذهش ..
كان الواحد في الحقيقة لا يرى فيها سوى أحرف من نار ..
أما كتابتي أنا ، فمتأججة بعض الشيء فقط .. هل أنت مولع
بجمع خطوط المؤلفين ؟ بيني وبينك تستطيع أن تبيع تماما
ما سأكتبه لك ... إن الناس يتنازعون فيما بينهم خطوطنا ..

التلميذ : هل تظن هذا ؟ عجباً ... وحق إيماني سوف أحتفظ حتى
الموت ولو بسطر واحد يكتبه هو بيده على هذا الكتاب ...
لكن اسمع لي ... إذا كنت أنت ..

ميفستوفيليس : وحياتك ما لم يكتب هذا السطر الثمين جداً بيدي أنا فلن
تبيعه برواج أبداً .. إنه سطر انساني . في الحقيقة أنا
لا أعرف كيف أنصحك ... ألا يكون من المستحسن ألا تحتفظ
حتى الموت بأقل كلمة من كلماتي ؟ بيني وبينك .. لو عرف
الناس من الذي كتب هذا السطر فسوف ترى ما يساويه
في المزداد أنا لا أعرف إلا خطأ واحداً ربما يزه في المزداد
العلني ... إنه أصل أبيات شعرية قليلة ... قديمة جداً ..
جافة محفورة منذ زمن بعيد جداً على صخرة مصقولة.

التلميذ : أي شعر هذا ؟

ميفستوفيليس : الوصايا العشر .. مخطوط يتم لمؤلفه .

التلميذ : آه .. أهكذا يا سيدي السكرتير .. ! كفاني هذا .. ياله

من بيت هازلين هذا البيت .. هل يسخر منى كل الناس
هنا ؟ قل لى إذن .. هل أنت وسيدك تسخران هكذا من
الناس ؟ فلتذهبا معا إلى الشيطان !

هيفستوفيليس : هاهى تقال جيداً .. لكن ياسيدى أحلف لك بحق سلامك
الأبدى أنه لا شيء أكثر حقا أو أكثر جدية مما سمعته
من فم الأستاذ أو من فمى . اسمع لى ، أنت جئت هنا بروح
لم تكن معدة إلا لسماع ما سمحت به لنفسها أن تسمعه .
ومن هنا جاء عدم الارتياح ، لعدم وجود ماتصوره الإنسان
سلفا . لكن .. وهذه أيضاً قالها إنسان آخر .. الإنسان
مجنون بما يبحث عنه وعظيم بما يجده ... ولا شيء أعظم
من أنه لا يجد ... من أنه لا يجد ما يصطدم به ... وبهذا
الشكل أنت تصطدم بى ! لكن ماذا يجب أخيراً أن أكتب
على كتابك ؟ .

التلميذ : لا شيء سوى هذه الكلمات الأربع : « خذ حذرك من
الحب » ... ليس فيها عميق كبير .. هيه ؟ وليست جديدة ..
ظن اننى ساذج .

هيفستوفيليس : هل تعتقد أنه يشغل حسب المقاس ؟ اسمع ... الدكتور
دائماً يفكر قليلاً أمام الأشخاص الذين يتحدث اليهم ...
وهو يعرف عنهم الكثير حتى أنه لم يعد يستطيع الحديث
إلى شخص بعينه على انفراد . إنه يتحدث من أجل البشرية .
فهمت ؟ ربما من أجل ما هو أكثر بعداً من هذا بعض
الشيء ... لكن يجب أن أكتب لك هذه الكلمات الأربع ..

ولو أردت، ففى استطاعنى أن أضيف إليها قدراً لا يذكر
من العمق ... إنه تخصصى ... أنا مشهور تماماً بالضحالة..
تعال .. تعال ! قلمى ليس معى هنا .. هيا بنا سويا « نخذ
حذرك من الحب » تجد هذه العبارة بسيطة جداً ؟ أراهن
أنك جديد تماماً فى هذه المادة ... لا تحجل ... لا يجب أبدا
التحجل إلا فيما بعد ... هيا ! سوف نتحدث قليلا فى كل
هذا وفى أشياء أخرى كثيرة وفى مجموعة أخرى من
الأشياء .

(يأخذه من ذراعه بقوة)

التلميذ : ليس بقوة جداً هكذا ... إنك ترفعتى .

ميفيستوفيليس : هيا ..

(يخرجان) .

المنظر الرابع

لوست

(تظهر فى شرفة واطئة تفتحها بعنف)

لوست : معذرة يا أستاذ .. هأنذا ... عجبا .. أنه ليس هنا !
يا أستاذ .

(تختفى ثم تظهر خارجة من المنزل)

على أية حال خيل إلى أنه ناداني ؟ هل هو .. أوروبما
الآخر .. أوروبما أنا ؟ شعرت بأنني فاقدة لوعي بعض الشيء ..
مر وقت دون شك ؟ أظن ، ولا حتى دقيقة واحدة ..
ولا يوجد أحد ... لكنى لا أعرف ما اذا لا يوجد أحد
حقاً .. ؟ كل شيء أصبح غريباً في رأسي منذ أن وطئت
قدمي منزل سيد العقل العظيم هذا ... كثيراً ما يغتريني
شعور بأنه يوجد أحد في الهواء ، بين الستائر ، بين الأشجار
لا يتركني بمفردي أبداً .. كما يبدو لي أيضاً أنه لا توجد
نفسى بداخلي . لم أعد أستطيع التفكير في لشيء . هل
يوجد كثير من الفكر هنا ؟ ربما أشعر كثيراً أن كل ما أستطيع
التفكير فيه شيء قليل جداً .. لا بد أن روعي تحس بهذا
جيداً للرجة أنها لم تعد تحاول حتى الحديث مع نفسها ...
النهاية .. ربما يكون هذا نوعاً من الفراغ النفسى ؟ ربما
يكون فقط ما يطلب دون انقطاع الشيء غير الموجود ؟
لكن أين هو إذن ؟

(تنادى في جميع الجهات)

أستاذ ... يا أستاذ ..

المنظر الخامس

لوست — فاوست

(يصل فاوست من الحديقة ممسكا بوردة) .

فاوست : هأنذا يا آنسة ... خذى .. وردة لك .. هاتى بسرعة أدوات الكتابة .. أريد أن أملى هنا .. الأفكار تتوارد بغزارة ..

لوست : أشكرك يا أستاذى ! يا لها من وردة نضرة يتمنى الواحد أن يمضى حياته كلها يحب من هذه الوردة وهو مغمض العينين كل ما تضوعه فى الوجه من أريج وفتنة .. أوه يا له من شذى قوى حلو ..

فاوست : نعم .. غير أن الأفكار لا تنتظر .. هل أنت مستعدة ؟ ضعى هذه الوردة هناك .

لوست : لدى هنا كل ما أنت فى حاجة اليه ... ورق .. أقلام .. (تضع الوردة فى صدرها) .

فاوست : (وهو يجلس) : هيا ... أريد أن أملى بلا ترتيب .. الأفكار لا تساوى شيئا من ناحية الشكل .. لكن لا بد من إلامساك بها ..

لوست : هأنذا مستعدة يا أستاذ .

فاوست : عظيم عظيم .. لكنى لست هنا بعد .. (صمت) جو رائع هذه الأمسية (لوست تكتب) .

لوست : (تعيد القراءة) « رائع هذه الأمسية .

فاوست : لا .. أنا لم أمل بعد .. أنا أعيش .. جو رائع هذه الأمسية ..
عظيم جدا .. حاو جدا .. جميل جدا حتى الأرض حانية .

لوست : هل على أن أبقى ؟ هل تريد أن تظل بمفردك ؟

فاوست : لا .. هذا كثير على إنسان بمفرده .. اجلسى هناك .. يجب
أن تبقى .. يجب أن تستمتعي معي ، كما أستمتع أنا بالعبير
العذب لهذه الأرض المحضلة وبالانبعاثات الغالية التي تنفحها
نهاية هذا اليوم كل ورودي . إن الروائح الذكية في نظري
وعود .. وعود طاهرة لا أكثر .. لأن لا شيء يفوق متعة
العود خاصة .. لا أكثر .

لوست : ألا ترغب حقيقة في العمل ؟

فاوست : سوف نعمل فيما بعد ... هناك لحظة من التعقل تبدأ بدلا
من العمل .. لحظة غالية جداً تستحوذ على كالأنغام المنسجمة
التي تذهب أكثر بعداً من مدى رغبة السمع وتجعل الإنسان
يذوب ويرتد إلى شيء لا أدريه ، توالد مختلط للذيد اقواه
وضعه .. كل شيء يحيط بنا يغنى ... إن أجمل ما في
هذا اليوم يغنى قبل أن يموت .

لوست (في تدله) : لكن أنت الذي تغنى يا أستاذ ... تبدو كآله
هذا المساء ... تبدو أكثر من عائش ... تبدو أنت ذاتك
لحظة من تلك اللحظات المملوءة في عجب بكل القوى التي

تقاوم الموت .. وجهك هذه الساعة من أكثر وجوهك
جمالاً . إنه يعرض على ضوء الغروب الغنى ، ما استطاع
أن يضئته بأكثر روحانية وأكثر نبلا . لا ، لم أكن رأيتك
قط مادمت لم أرك أبداً بهذه الرقة وهذه النظرة الأكثر
عظمة من أى شىء ينظر ... أسوف تموت ؟ عيناك تبدوان
تأملان الكون فى هذه الحديقة الصغيرة التى تقدرانها
حق قدرها ، وتبدو أمامهما كالحصاة الصغيرة يلتقطها أحد
العلماء فى راحة يده ويحدثها عن عصر من عصور العالم .

فاوست : الكون لا يهمنى ولا أفكر فى شىء .

لوست : ماذا تعرف عنه ؟

فاوست : أقول لك إننى لا أفكر فى شىء ... لكن هنا لابد أن يتقرر
شىء ما ، أعرفه على وجه التحديد ... وهو أنى لا أفكر
فى شىء .

لوست : ما هو ؟

فاوست : شىء ما ... وربما .. شىء آخر ... كيانى لم يعرف بعد ..
وروجى لا تخبرنى بشىء ... لأنها تغنى فقط هذه الساعة ...
ساعة فيض المساء .

لوست : عجباً .. ولا أنا .. لا أفكر فى شىء .

فاوست : الجو جميل جداً هذا المساء .. لا شىء آخر يستحق التفكير .
كم سنك ؟

لوست : كان بإمكانى أن أتزوج منذ خمس سنوات :

فاوست : كان بإمكانى أن أكون فى عداد الموتى منذ زمن بعيد ..
جداً .. كنت شاباً يا لوست .

لوست : لكنك لم تكن قط جميلاً جداً .. أنا متأكدة .

فاوست : كنت شاباً يا لوست .. ثم كبرت .. ثم شاباً مرة أخرى ..
وارتدت أكثر من عالم .. لكنى وزنت رغباتى وتجاربى
فى الوحدة .

لوست : فى الصحراء ؟

فاوست : لماذا ؟ الوحدة انتاج يصنع فى كل مكان .

لوست : والآن ؟

فاوست : وزنت كل شيء .. وكان الوزن الإجمالى لشيء ..
فعلت الخير واقترفت الشر ، فرأيت أن الخير ينبع من الشر
والشر من الخير .

لوست : جولة كاملة إذن ؟

فاوست : نعم .

لوست : والآن ؟

فاوست : والآن هأنذا أكون ما أكونه ولا أظننى شيئاً آخر .. كان
لابد من آمال كثيرة ونخبة أمل وانتصارات وكوارث لبلوغ
هذا ... وقد بلغت به شيء أكثر من العقل .. كان لابد
أن أبلغ هذا بالعقل وحده ..

لوست : يا أستاذ .. أنا لأعنى كل ما تقول .. أنت تتحدث ولا
تحدثنى .. لكننى لست فى حاجة إلى أن أفهم .. ليس فى

استطاعنى هذا المساء أن أتابع أية فكرة .. لكنه صوتك
الذى يجعلنى أتابع .. كالموسيقى .. إنه يحملنى إلى حافة
الدموع .. أوه .. قل كل ماتريد .. إنه مؤلم جداً تقريباً ..
لى رغبة فى أن أتألم عن أن أكون سعيدة .. أنا سعيدة جداً
رغم أننى أختنق .. لا أجد كلمات أو أى شىء يستطيع
تفريج كربة قلبى هذه وكربتى .. أوه ! ثم هذه الطيور
المرعجة بعيداً فى الجو .. إن صياحها الحاد يقطع سعادتى .

فاوست : (لنفسه) ، هل أنا فى أوج فى ؟ أنا أعيش ولا أمارس
غير العيش . إنه عمل ... أخيراً انتهى ما كنته إلى بناء
ما أكونه . لم يعد لدى أى اهتمام آخر .. هأنذا الحاضر
بعينه .. التأم شخصى تماماً بحاضرى فى تبادل مع مهما
يحدث ... لم تعد هناك بقية .. لم يعد هناك عمق ...
اللانهاية تتحدد ... ما لم يوجد لن يوجد .. وإذا كانت
المعرفة هى ما يجب استيلاده عن طريق العقل فما أنت
يا فاوست معرفة غزيرة نقية ووفرة وانجاز . إننى هوأنا ..
فى أوج فى ... فى العصر الذهبى لفن الحياة .. هاهو
أجل أعمالى : الحياة . أليس هذا كل شىء ؟ لكن لا بد
من إدراكه . ليس المهم أن يجد الإنسان نفسه فى هذا المستوى
الرفيع الوجود دون أن يدرك كنه هذا الوجود . فكم من
المخاطر والتعقل والأحلام والأخطاء مربها الإنسان للوصول
إلى حرية أن يكون الإنسان ما يكونه ، ولا شىء غير ما يكونه !
ما هو الكمال إن لم يكن الاستغناء عما ينقصنا ؟ وما ينقصنا

كثير دائماً . حالياً ، أقل نظرة وأقل إثارة وأقل أفعال للحياة
وظائفها ، أصبح عندى فى نفس مرتبة النوايا والأصوات
الداخلية لتفكيرى ... إنها حالة مسمو ينحصر كل شىء
فيها فى الحياة ... هذه الحالة التى ترفض بابتسامة تعلو
شفتى كل الأسئلة والأجوبة ... الحياة ... إننى أحس
وأتنفس أعظم مؤلفاتى .. وأخلق من كل لحظة لكل لحظة ...
الحياة ! إننى أتنفس .. أليس هذا كل شىء ؟ إننى
أتنفس أفرد بقوة فى كل مرة دائماً كأنها لأول مرة
— هذين الجناحين الداخليين اللذين يخفكان الزمن الحقيقي ..
إنهما يحملان من هو موجود ممن كان موجودا إلى من
سيكون موجودا ... أنا موجود ... أليس هذا غريباً ؟
أن يثبت الإنسان فوق الموت كالحجر معلقاً فى الفضاء
هذا لا يصدق ... إننى أتنفس ولا شىء أكثر من هذا ...
شذى ورودى الذى لا يقاوم يريد أن أتنفس ... وعبير
الأرض المخضلة يتدفق فى داخلى أكثر اشتهاً دائماً وأكثر
مشتهى دائماً ليتغلب على قوة تنفسى .. اننى أتنفس وأرى ..
هذا المكان متعة للنظر .. لكن ما أهمية هذا المكان ؟
ما أهمية ما يراه الإنسان ؟ تكفى الرؤية وإدراك أن الإنسان
يرى .. هنا تكمن المعرفة ... إننى مثلاً أرى شجرة
الصنوبر هذه ... لكن ما أهمية شجرة الصنوبر ذاتها ؟
ربما تكون شجرة بلوط ... سوف أراها ... وهذا
السقف من الوردواز اللامع ... ربما يكون أيضاً مرآة
من الماء الهادئ ... سوف أراه .. أما عن شكل هذه الكتبان

البعيدة التي تحيط بالبلدة بلا ترتيب مقصود فأننى أحس بأن لى القدرة على إعادة رسم خطها الطويل المتراخى حسبها أشياء...الرؤية أيضاً أن ترى شيئاً آخر جيداً...رؤية ما يمكن أن يكون لا ماهو كائن .. وإلا فكيف نفسر تلك الرؤى العجيبة التي يسعى اليها النساك إن لم تكن هذه المعجزة والتي ليست سوى رؤية أى شيء كان ؟ النفس فى حد ذاتها بائسة ... فإذا أنا أقفلت عيني وركزت نفسي فلن أكون إلا بين العقل والنفس .. أى يؤس فى هذا .. ! أين إذن فى هذه الحالة الأشكال المحددة والمتنوعات ، والمنظور تغيره أقل حركة ، بأى قدر من التعب على أن أدفع فى هذه الحالة ، من تحت أجفاني ، بقاء الأشياء ووضوحها وبريقها لمحاولة اعطائها شكلاً لنفسي ؟ وأى إيمان عميق وتصوف متصل وموعظة بالغة تستطيع أن أن تخلق لنفسها شمساً كهذه التي تسطع وتسفك بسخاء بالغ دمها القاني من أجل الإنسانية كلها ؟

(بمفردها وهي تقرب منه من الخلف فى حذر وكأنها تتحرك بغير إرادة) لا أستطيع البقاء بعيدة هكذا ... إن هذا هو وكأنى أبقي بعيدة عن نفسي ... ماذا يقول لو أننى قبلت يده ؟ ماذا يفعل ؟

فاوست : أنا أتنفس وأرى .. لكن ربما الأكثر واقعا فى الحاضر هو هذا : هو أننى ألمس (يضرب ذراع المقعد الجالس عليه) ويدفعه واحدة أجد الواقع وأخلقه ... يدى

تحس بأنها تلمس تماما كما تلمس ... الواقع يعنى هذا ...
ولا شيء أكثر .

لوست : (من خلفه وبصوت منخفض) : إنه يتكلم .. وأنا أتكلم
مع نفسي .. وكلامنا غير متبادل قط ... ومع هذا فليس
من المحتمل ألا يوجد بين ما يشعر به وما أشعر به أنا
نفسى أى تشابه حيوى ... اللحظة ناضجة جداً ... محملة
بأطيب الثمار ... لحظة يوم مليء بالبهاء من أجل كائنين
جد مختلفين ، يمكن أن يصبحا كهذا اليوم ، فى أوج
مقاومتهم لقوة الأشياء ... أنهما كهذا اليوم مفعمان غنيان
بوجدانهما ، محملان بطاقة سعادة غير محتملة تقريبا ...
ولا تجد لها متنفسا أو حداً طبيعياً أو تفريجاً أو نهاية ... إنه
نوع من الموت .

فاوست : نعم .. أى شيء أكثر من هذا واقعا ؟ ألمس ؟ وأنا ملموس .
قال شاعر قديم : أن تلمس وأن تلمس أمر لا يتعلق إلا
بالأجساد وحدها ...

(صمت .. تضع لوست يدها بخفة على كتفه) هأنذا
ألمس .. نعم من ؟ أهذا أنت يا لوست ؟ ظننتك ذهبت ..

لوست : إنه أنا ... لماذا تقول لى أنت ؟

فاوست : لأنك لمستينى ... لماذا لمستينى ؟

لوست : خفت أن تنام وأنت تحلم ... ليس هذا تحذيراً .. أنت
تعرف .

فاوست : لا شيء أخشاه من شمس تغرب في أوجها ... يدك هني ..

لوست : لا ... لماذا أبعداها ؟

فاوست : لأنه لم يعد هناك رشد ... نحيها .

لوست : لا .

فاوست : لماذا ؟

لوست : مادامت امتدت وحدها ... في الحقيقة لا أعرف لماذا

امتدت وحدها .. لماذا استقرت هنا على كتفك .. لماذا

أنحيها ؟ لماذا ؟ قلت هذا بسرعة .. هل تعرف أنت نفسك

بصفتك عالما لماذا قلت لي أنت منذ لحظة ؟ إن هذا يحدث

وحده كأي شيء هام .

(تنحي يدها) .

فاوست : لقد تولد هذا مني ومنك . وليس منك أومني ... يدك

وهذه الكلمة .. هذا يشكل شيئا ... نوعا من الوجود ...

لا نعرف عنه أكثر من أن الدين يصنعون طفلا لا يدركون

بواعث صنعه . فغالبا ماتتولد المحبة من لا شيء .. من تسلية ،

من خطأ مشترك وغالبا ما يستحيل هذا اللاشيء إلى

لا شيء ، وغالبا ما يقود إلى كل شيء ... نحي يدك يا آنسة .

لوست : لكنني نحيها يا أستاذ ..

فاوست : إني أحسها لا تراك تضغط على كتفي خفيفاً جداً ..

لكن أعطينيها الآن .. أنا في حاجة إليها .. نوع من الاسترخاء

الذي يحول بيني وبين الوقوف (تمد إليه يدها . يقوم

بحركة كأنه يجذب اليه لوست لكنه يحجم فوراً ويترك
يدها التي كان ممسكاً بها) لا ... لا داعي لهذا .. شكراً ..
لا تشجعي . لو كنت أعطيتنيها ...

لوست : ماذا ؟

فاوست : (يقف) . كان سيحدث كل شيء .

لوست : (خافضة رأسها وبصوت مضطرب) : هل تدخل ؟

فاوست : ليس الآن ... لي رغبة في العمل قليلاً هنا .. لدينا سويعة
من اليوم .. يقال إنها تركنا في أسف ... لكن العمل لا يتقدم
كثيراً .. هل تسمحين بتناول الكراسي ؟ هل أنت متضايقه ؟
يبدو عليك مظهر من هي ليست بعيدة عن البكاء ..

لوست : أوه .. لا ... يبدو هذا على وجهي بين حين وآخر ...
ولا أعرف يا أستاذ ما يحدثه هذا بوجهي ... لا بد إنني
أبدو قبيحة جداً .. لكن أية امرأة لن ينطلي عليها هذا
أبداً ... سوف ترى على الفور إنني لا أفكر في شيء
يتطلب البكاء ... الرجال لا يدركون معنى هذه الأشياء
الصغيرة على وجوهنا والتي غالباً ماتكون ذات أهمية
كبيرة جداً بالنسبة لهم .

فاوست : قولي أحسن : ذات أهمية يعلقونها بالنساء .

لوست : أقول أحسن : ذات أهمية يعلقونها بامرأة معينة ... امرأة
تكون سعيدة في هذه الحالة .

فاوست : أراك أيضاً تؤمنين بالسعادة .. هذه الكلمة التي هي من

أجل النساء .. وتضعفها بوجه خاص في دائرة شعورك
على أنها الاهتمام الوحيد ... الاهتمام الملح المطلق من جانب
الشخص الآخر ... من يعلم ؟ ليكن ، لكن طالما ليست
لديك أية رغبة أو سبب للبكاء فأنا في غاية الارتياح ،
وأرجوك أن تجلسي كي أمليك ... في أى مكان تشائين ...
عظيم .. هل تسمحين بقراءة الحملة الأخيرة .. ؟ !

لوست : الأخيرة في المرة الأخيرة ؟

فاوست : لا .. الأخيرة في المرة السابقة للأخيرة .. التي سوف تأتي
بعد ذلك .

لوست : آه .. عظيم .. هامى (تقرأ) « تأكدت أخيراً بعد القاء
نظرة على مذكراتي وأفكارى أن الخطأ المشترك للفلاسفة ؛
القدامى منهم وأنصار الحديث ؛ أصبح آخر الأمر جلياً
وأصبح من السهل البرهنة عليه » .

فاوست : مضبوط .. أكمل (يملئ) « وهكذا ... وهكذا أنه ... »
لا ... لا داعى لكلمة أنه ... وهكذا في خلال سنتى خمس
وأربعين وست أربعين أثناء إقامتى في بازيلى ب ... ا
... ز ... ي ... ل ... ي حيث كنت أسكن في ود .

لوست : في عائلة .. ؟

فاوست : ف ... ي ... و ... د عند أرملة حزينة .

لوست : يا لها من بائسة ! تلك الأرملة الحزينة !

فاوست : آسف ... أخطأت ... اكتفى « عند أرملة شابة » .

- لوست : أوه ! حزينه كانت أحسن .
- فاوست : « شابه .. حزينه ... متأججه .. متأججه » اكتبى إذن..
- لوست : نعم نعم ... هأنذا كتبت .
- فاوست : والى أحال لى شبابها وحزنها وتأججها المتزل .. المتزل ... جداً .
- لوست : جداً ماذا ؟
- فاوست : ملائماً جداً .. ملائماً جداً ... فلنضع « ملائماً جداً »
- لوست : « فلنضع » لا ... أنت الذى تضع .. أنا أكتب .
- فاوست : « ملائماً جداً حتى كان لى شرف فهم ... » .
- لوست : أنت ؟
- فاوست : لكنك تقاطعيني طوال الوقت ! اكتبى إذن « حتى كان لى الشرف فى أن أتبين مبدأ هذا البحث عن الرقة الذى حدث أن العالم المعروف كاردان .. كا ... ر ... دان
- لوست : أعرفه .
- فاوست : « الذى حدث أن العالم المعروف كاردان سبقنى إلى سرقة عنوانه منى قبل ذلك بوضع سنوات » .
- لوست : سرقة قبلك ؟
- فاوست : نعم .. هذه الأشياء تحدث فى عالم الزوج .. وهذا لا يمنع من السرقة بعد ذلك أيضاً .. الروح تسرق حيث تستطيع .
- لوست : والأرملة ؟

فاوست : أنتظري حتى أقلب ذكريا في بعض الشيء ... هأنذا أتابع
(يملئ) وفي إحدى أمسيات الشتاء ... أمام النار المشتعلة ..
النار المشتعلة كنت أفكر ناظراً إلى اللهب .. اللهب ..
وأداعب بلا اكتراث .

لوست : بلا اكتراث .

فاوست : بلا اكتراث .

لوست : ألا تستطيع التفكير بغير هذا ؟ هذا جدير بالقسط .

فاوست : هيا هيا (يملئ) « وأداعب بلا اكتراث الإنسانية التي
ذكرتها والتي كانت ساكنة » .

لوست : ساكنة ؟

فاوست : ساكنة .. سا .. ك .. سته على ركبتي .

لوست : يا لملك الطويلة ... هذه الأرملة لن تخلص من هذا أبدا ..

فاوست : هذا غير محتمل .. أنت تقاطعيني في كل لحظة يا آنسة ..
سبل أفكارى ينقطع .. أنا مضطر إلى أن أطلب اليك إعادة
قراءة كل هذه الجملة . لا بد أنها طويلة فضلا عن أنها
معقدة ..

لوست : نعم .. أرى جيداً أنها معقدة (تقرأ) وفي إحدى أمسيات
الشتاء ، وأمام النار المشتعلة كنت أفكر ناظراً إلى اللهب
وأداعب بلا اكتراث الإنسانية التي ذكرتها والتي كانت
ساكنة على ركبتي .. «

فاوست : (يملئ) خطرت لي فكرة أنه توجد بين كل هذه الأشياء

المائلة أمامي في حاضري، هذه النار وهذا البرد وهذا اللون
للهار وهذا الشكل الرقيق للتوازن في الاستسلام المحبب
جداً إلى النفس ... وهذه المشاعر الغائمة التي تعيش برقة
في مكنون نفسي .. ومن ناحية أخرى .. ناحية أخرى ..
فكري المجرد .. توجد بين كل هذه الأشياء علاقة عميقة
ومؤكدّة تمتد أيضاً إلى ماضي .. ودون شك إلى ما يمكن
أن يـ .. حـ .. دـ .. ثـ .. أن يحدث » .

لوست : وما حدث .. أليس كذلك ! قلها حالا ..

فاوست : (مملّيا) : « علاقة أو اتفاق لم يدرك أحد حتى الآن
كنهه أو الإمساك به، ولكنني لمحت فيه في نفس اللحظة
الباعث والصورة والمتناول .. »

لوست : انتهت ؟ لم أعد أرى .. لم أعد أرى .. أنا

فاوست : بعض كلمات أيضاً وتنتهي (يملأ) « وحينئذ كان سروري
عظيماً جداً وانتصاري مؤكداً ... ونهاية ناجحة جداً لم تكن
متوقعة لدور طويل صعب في لعبة ضد عاهة الفكر، أمكن
الفوز فيها بفضل معونة الصدقة الكريمة .. حتى .. حتى .. » .

لوست : (في ضيق) : حتى ماذا ؟

فاوست : (بقوة وهو يقف) : حتى أنني وأنا أقبل بملء فمي تلك
الإنسانة التي ذكرتها، كان يجب عليّ قبل أي شيء ودون
أية شكليات أو كلمات أن أستعيز بما لا أدرى أي عوض
فطيع من الحب تجاه قدر كبير من السعادة الروحية التي
غمرتني فجأة بعد كثير من ...

- لوست : (باكية) : آه .. لالا ... لم أعد أستطيع الكتابة ...
تعبت جداً .. جداً جداً .. تعبت .. وأنت تجرى بسرعة .
- فاوست : أوه لوست ... ألسنت على مايرام ؟
- فاوست : لست على مايرام ... لست على مايرام أبداً ... هذه
الحملة كانت طويلة جداً ... معقدة جداً .. ثم هذه الأرملة .
كانت جذابة .. اليس كذلك ؟
- فاوست : دون شك .. لكنها .. لم توجد قط .
- لوست : آه .. الأرملة ؟ هل هذا صحيح ؟
- فاوست : نعم .. إنه مجرد أدب .. فن خالص ... ها أنت قد بدا
عليك الاهتمام عند إدخال جزء يسير من الحقيقة يرطب
عدمية الحياة في بحث جاف عن اكتشاف مادي ... جسد
حتى .. اليس كذلك ؟
- لوست : آه ... نعم .. طالما ليس لها وجود .. فهذا شيء جميل
جداً ... هذا هو الخلق ..
- فاوست : بالضبط .. أدخلت الأرملة للتأثير .. كالمصور الذي يرسم
زهرة في لوحته لأنه في حاجة إلى زهرة .. مجرد التأثير ...
كذلك بالنسبة لكتاب القصة ... لقد قلت لك وأكرر .
قولي أن هذه المذكرات ليست ذكريات ... وإنما أمسك
بما أتخيله جديراً بما كنت عليه وما كنت أشك فيه .. وعلى
أية حال فإن الذكريات كما هي ليست لها أية أهمية ..
لكن المذكرات .. ! هيا يا صغيرى لوست .. لقد أرهقتك ؟

لوست : أبداً يا أستاذ .

فاوست : نعم .. هيا بنا نسترح .. تعالى نتمشي في الحديقة التي
 غمرها الليل والتي سوف تجذبنا ظلالها وأشجارها هناك
 إلى عذوبتها المتعددة الوجوه .

لوست : بكل سرور ... أشعر بظماً ! .. اسمح لي بأن أقطف أولاً
 هذه الخوخة الجميلة (تقطفها وتقضمها ثم تمدّها مقضومة
 إلى فاوست) أوه .. يا لعذوبتها ... ثم أنت .. ثم لي مرة
 أخرى (ويأخذ فاوست الفاكهة ويقضمها ثم يعيدها إلى
 لوست وهو ينظر إليها فتمسك ذراعه ويخرجان من ناحية
 اليسار)

المنظر السادس

ميفيستوفيليس

(في هيئة ثعبان أخضر يسقط من الشجرة)

ميفيستوفيليس : فاكهة .. فاكهة ! قضية فاكهة أخرى .. إنه عود ..
 لا يوجد قط لدى أي إنسان فكرة تقديم أية تفاحة أو خوخة
 أو كثرأه إلى ! إنني صديق قديم للأشجار .. ومع أنني
 تجولت بينها كثيراً فإنني حتى هذه اللحظة لم أعر على
 شجرة العرفان بالجميل ... لقد بلغ عدم العرفان بالجميل
 للشيطان مداه .. يا للعجب ! إن كل الفواكه تمر مر والذي
 يعتقد أنه يقضم لب فاكهة حلو هو ذاته مقضوم في قلبه .

عكس كل شيء سام في الطبيعة .. ولا توجد نسيمة أو عطر
أو جدول رقيق إلا وأصبح فيه أو أوسوس ... والحب
بدون بصيص ضوء زائل وعمل سخيف ... لا شيء أضيق
عليه كل ما يحتاج من لون وعمق ومنظور بلهم
وخوف وحقد وتآنيب . ولكي أصنع كل هذا أمزجه
بالأحلام والشكوك ... مزيج مدهش . ماذا يكون الحب
بدون الثعبان الذي يوسوس ؟ سوف يصبح اختلاطاً دورياً
للجنس يسير على وتيرة واحدة على حد تعبير التاريخ
الطبيعي اف ... ويا له من مذاجة مقدسة سخيفة ! لكن
يا فامست لم أهمس بكلمة واحدة هذه المرة .. لقد ترك
الثعبان الحذر الحديقة والشذا والمساء والوصول القل إلى
جسد وإلى مسلك آخر يخضع للقانون الأبدي . بماذا توحى
هذه الأملاء الناهمة ؟ أشعر برغبة حقيقية لمعرفة البقية ...
إن أحسن طريقة مؤكدة لمعرفة ما هي أن ترتب نفسها بنفسها .
لقد وقعت البنية تماماً .. لكن العاشق ليس متحمساً بما فيه
الكفاية ... انطلقت عليها مسألة أن يملى .. وانطلق عليها
أيضاً أن يكذب لأن هذه الأرملة المتأججة كانت تعيش
بقوة وتأجج . وأعتقد كذلك - لأنني متأكد من هذا وشاهدته
بنفسي - أنها منذ ذلك الوقت غيرت مصادر تأججها وتغيرها
بفضاعة .. ها .. ها .. ها .. شابة .. متأججة وحزينة ياله
من يقين .. ها ها ها .. شهوة مجنونة .. خذ حذرك من
الحب .. حب .. حب .. هي هي هي .. اضطراب فظيع .. ها
سستار

الفصل الثالث

في مكتبة الدكتور فاوست حيث الجحدران
المغطاة بالكتب .

المنظر الأول

التلميذ — بليال — عستروت — جونجون

عند فتح الستار نشاهد الشياطين الثلاثة — نشاهد
أقنعة على هيئة رؤوس حيوانات دميعة تنتشر
في الديكور بشيء من الغرابة — جونجون شيطان
مخنث مزين يملأ وجهه بالأصباغ ويضع على
رأسه شعراً مستعاراً أشقر وشفته محمرتان في
لون اللهب يجلس على مقعد بدون ظهر يقرب
كتاباً. التلميذ ينام ورأسه في كتاب مفتوح فوق
منضدة على عجين المسرح الذي يضاء بنور
خافت أزرق تقطعة بشكل مفاجيء من وقت
لآخر اضواء خضراء وحمراء .

- بليال : هلا كفت عن الصر على أسنانك ؟ هلا كفت ؟
- عستروت : أنا في غاية الضيق .. متضايق .. أوه .. ما أشد ضيقى !
كريك ... كريك (يصر على أسنانه)
- بليال : كرين كرين يا قرش البحر القدر ... صر .. صر بأسنانك
الحضراء المنكودة. يقولون أنك تصحن أيدا رمل
المرامل
- عستروت : أنا أقرض .. أقرض .. أسحق .. أفنت كل شيء
يفضيقنى .. يضايقنى .. الضيق يقرضنى .. كريك
كريك .
- بليال : أوه .. هذا للكرين كرين .. ماذا تقرض ؟
- عستروت : كل شيء .. القلوب .. الأجساد .. العظمة .. الأجناس ..
الصخور .. حتى الزمن نفسه .. أحيل كل شيء هباء ..
كريك كريك ..
- بليال : كل حسب مزاجه .. أنت تقرض أما أنا فأدنس ..
- عستروت : يا للقدارة .. وماذا تدنس ؟
- بليال : كل شيء .. أحيل كل شيء عفنا .. أنت تقرض أما أنا
فأفسد .. أفسد الأفكار ... أبدى الحقيقة دمية
أو فاحشة، ألوث النظرات، وأسم الكلمات .. وأجعل
من الحقيقة شيئاً قبيحاً قذراً .. ومن يبحث عنها يجلثنى
أنا حقيقة الحقيقة .
- عستروت : يجد شيطاناً قذراً في نهاية مطافه .

بليال : وغد أنت يا قارض كل شيء .. أما أنا فأختار ما يوجد
فيه النقاء .. وهذا ما يغريني .. البراءة من نصيبي ..
النقاء أعز شيء عندي ! بكل براءة تدعو إلى أمل في
الرجس .

عستروت : يالك من شاعر .. فملك يسيل لعباً .

جونجون : كفا أيها القدران ... إنكما تحولان بيني وبين ما أقرأ .

عستروت : وماذا تفعل أنت هناك أيها الداعر المزدوج ؟

جونجون : أبحث عن موضوعات الأحلام ... فغالباً ما توجد في هذه
الكتب بعض الأفكار الطيبة .

بليال : أيها المحدث الخالد .. هل أنت في حاجة إلى دروس ؟

عستروت : دعه إذن أودعها ... الواحد منا لا يعرف إلى أي جنس
يتحدث مع هذا الفاسد ذي الهدفين .

جونجون : يا فأر .. يافم الفأر ... اقترض لسانك .. أنا أتبع في
في كل ليلة أجمل عملية في الدنيا .. مومس مثالية أو
كبير خفيف .

بليال : عجباً .. نحن أيضاً نشط في الظلام .

عستروت : أنا أتسلط .

بليال : أنا أوسوس

جونجون : أنا أتسلط وأوسوس وأسحر وأضرم وأهمس وأحتضن

وأطوق .. نعم أيتها الوحوش .. حينما أتشكل أو أتجسد
في هيئة فتاة بضعة ممتلئة عارية وأتمدد على طول شاب
نائم وأدبر له حلماء ملتهباً وهدفاً قوياً سوف ينشده طوال
حياته من امرأة إلى امرأة دون أن يحقق أيّاً من هاتين ،
الإنسانة المتخيلة واللذة الحقيقية اللتين استقطرتهما من
دمه واستخلصتهما من براءته ..

بليال : إذن أنزل من مستشرقك أيها الخنث الشاحب ... أمامك
هنا نائم ساخن .. . تعال دغدغ كومة الحياة البشرية
هذه المغطاة في نومها ..

جونجون : ماذا يفعل هنا ؟
عستروت : ينام .. أي معجزة ! النوم ... ماهو ؟ لا بد وأنه منة
إلهية .. النوم النوم .. أي حلم !

جونجون : إنه شاب وسيم بما فيه الكفاية .. في ميعة الصبا .. ما ألدّه
من نوم .. لكم يثق بالطبيعة ولكم ترسم على محياه
في ارتياح البراعة والنسيان وخلو البال الفطري والثقة
في البقاء ..

عستروت : كأن لا وجود لنا .

بليال : هيا .. إقترن لي به .. إفصله عن متعته الميته .

جونجون : أي خسارة !

عستروت : قف مكانك .. لا تمسه .. التيس الأكبر هو الذي

ألصقه بهذا الكتاب الضخم حسب تدير سحرى لينام
حتى اللحظة التى يوقظه فيها .

بليال : إذن .. حسبك ! ربما للئيس الأكبر وجهة نظره

عستروت : ميفيستوفيليس يعرف ما يفعل .. لا تطمع فى أحد يفسر
لك أفعاله .

بليال : لسنا سوى طرايطيره .. وأنت الماكر جداً ولاك قوة
سحق كل شىء ربما تعرف ما يدور هنا .

عستروت : يدور هنا ما يدور .. كل واحد ولعبته .. أنا أقرض
أنت تدنس .. هو أزهى يسفح ... نحن نوسوس ..
أنتم تتسلطون ... مولد

بليال : ثم ... إننا هنا أحسن من تحت ... فى القاع .. فى قاع
قاع الهاوية ..

الجميع : (فى فرع) : الهاوية .. (صمت) الهاوية ..
الـ .. ها .. و .. ية

(يرتعدون)

جونجون : ثم ... هنا ... يرى الواحد منا أناساً أحياء ... نشلى ..
هؤلاء الناس يملكون الحب .. حب ... نوم ...
معجزات ! لديهم كل شىء هؤلاء الأحياء الخنازير ..

بليال : لديهم الموت أيضاً .

جونجون : لكن لديهم الحب .

عستروت : الحب .. هذا الدنس .. أنا أقرضه .. وأضني عليه من
الاشمئزاز والمخاطر والشكوك .. كريك كريك ..
أقرض الفتنة وافنى الرغبة .

بليال : لكن أنا ألوثها وأهيجها .. أنت تحيلها حزناً وأنا أحيلها
جنوناً... أنا أسمعها فتتمزق وتفترس نفسها .. وتقتل ..
جونجون : إنكم لا تعرفون شيئاً أنتم الآخر .. لا شيء البتة ..
تعرفون أيضاً قليلاً عن الحب الذى يعيشه هؤلاء الأحياء
البلهاء ... أما أنا فأعرف ..

عستروت : ماذا تعرف إذن أيها الداعر ؟

جونجون : ما يعرفه أى إنسان حين يغش .. أنا أفهم فى اللعبتين ،
الذكر والأنثى .. اصنع إلى أغنيتى : اصنع من نفسى
الرجل أو المرأة ، أفعّل أو يفعل بى ، أعطى أو آخذ
وأصير بمزاجى أعلى أو أسفل فى لعبة المتحابين .. أخون
العشيقة والعاشق كل بدوره .. أعرف من حواسهما كل
الخلاف ، ولا شيء غيرى يقرأ فى قلبى الوحش ذى
الرأسين والذى يتكون من عاشقين متحدين يجهل كل
منهما الآخر ... استخدم فى النوم كل قواى ... إذ
باستسلام الانسان لسعادة النوم يغيب ويسلم الجسد
الروح لقواى الساحرة ، فأبعث فيه فتوراً يسيطر عليه .
ثم يتحول إلى نوع من الأسى اللذيد .. يلهث الإنسان
ويزفر وتتم شفتاه الممطوتان ... حيثئذ أوسوس فى
أعماق نفسه ببعض صور الضياع ... ببعض جرائم

الموت ... لأن كل حب ينطوى على شر ينضج ..
وإن أكثر العقد لذة لى عقد الثعابين .. كل جنس
يخشى الجنس الآخر وينسب إليه الغموض .. ها ها ها
(يضحك) الغموض .. هؤلاء المتجسدون يتمتعون
بالألفاظ .

- عسروت : لو أنهم يشكون في أن الأرواح لا تترك شيئاً .
بليال : لسنا سوى حيوانات .. إننا جميعاً أنقياء
عسروت : أنقياء ... لا يوجد أنقياء سوى الملائكة والحيوانات ..
أما الآدميون فهم مهجنون .
بليال : خليط .. لديهم الجسد والأفكار .. والبطن الذى يفكر
جونجون : لو لم يوجد غير البطن !
عسروت : توجد أيضاً المتعة .. الأعضاء السفلى .. إننى أكره !
كريك كريك .
بليال : إطحن ... صر .. أنا أيضاً أكره ! .. أدنس .. أفسد ..
أفسد اللبن والدم والمرارة .
جونجون : وأنا أكره فوق .. أكره تحت . أرجف الأيدي ..
أخلخل الركب .. أغم القلوب .. أحطم ..
الجميع : أنا أكره .. الكراهية هى الحياة ! هى نحن
(هنا يتنهد التاميل ويتحرك)
بليال : هوب .. هذه الطينة تتحرك ... أبله يتشكل

جونجون

: أقلقه وجودى بشكل خفى فعلا .. أنظر .. دعنى أؤثر عليه (يقرب منه متقصعاً وينفخ فى شعره فيهتر التلميذ ويتم) أرايت ؟ ها هو يتنفس بشكل آخر ويتلون وجهه . كل ما فيه يتجه إلى الطيف الذى يتشكل من قواه ؛ يداه تبحثان ونفسه تظن أنها تمسك بشيء . هل أداعبه أكثر ؟ إنه ينشحن بالحب شيئاً فشيئاً .. لست هنا إلا من أجل الفتاة .. لقد أوحيت إلى هذه العذراء الرقيقة بأحلام جميلة ، فى تلك الليلة .

بليال

: عذراء !

جونجون

: نعم عذراء بالنسبة للثلثين .. أما الرأس فعاهر ..

عسروت

: كنى كلاماً يا جونجون .. أنا متضايق .. متضايق .. كريك .. كريك .. أقرض ثرثرتك .. دعنا نرجف هذه الدمية ونجعلها تئن وتتأوه وتتلوى ..

بليال

: أما هذا فلا ... ! احذر أن توقظه .. التيس الأكبر يحتفظ به هنا ساخناً من أجل مهمة أخرى .

عسروت

: فى داهية إذن .. التيس الأكبر له فكرته عن هذا البيت (بصوت منخفض) . هل تعلم أن بعض مضايقات حدثت له مع صاحب هذا البيت .. خرج من يديه .. هل تعلم ؟ : (بصوت منخفض) : هل تعتقد أنه وجدده أشد خبثاً منه ؟

بليال

عسروت

: شت (بصوت منخفض جداً) ولم لا ؟

(صمت)

جوانجون : إنه لا يجب إضاعة الصفقات الكبيرة .. التيس طبعاً ..
طلالما اختص بكل أمجاد الجحيم ، وطلالما أحب أن تقبل
عجيزته حتى يحصل على ما هو أكثر رفعة وامتيازاً
على الأرض . لكن إنسان هذا البيت يشبه شيئاً آخر
غير الإنسان .. عرفت ؟

عسروت وبليلال : أشت .. أشت .. سكون .. رائحة التيس
جوانجون : فى داهية ... خسارة .. أنظر كيف ينام مستغرقاً هذا
الطفل ! لكم هو نابض ... إنه يجعلنى أتردد بين
جنسين .. انظر .. انظر ... هأنذا أكاد أحتك به ...
لم يحدث شىء حتى الآن ... لم تمس سذاجة النوم العميق
الذى يغشاه ... برىء أنت يا حبيبي ... سوف أسحر
نومك الجميل ... أرى مصيرك الغرامى .. سيتدفق
مليئاً بالحياة عبر نهر دمك الحى ... برىء أنت يا صديقي
.. لم تعد أنت نفسك تماماً ... لم تعد ذلك الحيوان القانى
الذى يتنفس دون وجود .. أنت تحس ما صرت إليه ..
صرت فى حاجة إلى السعادة .. أنظر .. كم أنا جميلة ..
كل جسدى حيوية .. بشرقى كلها ناعمة ... المسنى ...
المسها ... هل تفهم أيها الحيوان الصغير ؟ هنا .. وهنا
.. وهنا ..

؟ (تحوطه بكل أنواع الدلال ، يعتدل التلميذ نصف اعتدالة
مغمض العينين ويداه ممدوتان ضائعتان فى الفضاء وهو
يتعمم)

التلميذ : أوه .. نعم .. عجيب جداً .. ماذا ؟ ماذا ؟ تانا .. حلوة

... حلوتك ! أوه .. حلوة جداً .. يا للهول

(يسمع طرقة سوط قوية)

الشياطين : التيس !

المنظر الثاني

الشياطين — ميفيستوفيليس

(يظهر ميفيستوفيليس ويده سوط ..

يتقهقر الشياطين ناحية الجدران

ويركعون) .

ميفيستوفيليس : يا وحوش .. ماذا تفعلون بأوامري ؟ (للتلميذ) أيها

الشيخ .. عد إلى العدم .. اسقط في الغيب (بحركة يلتصق

التلميذ نائماً على الكتاب الضخم) أيها الوحوش البائسون

غير المحسوسين .. يا ذرة من جهنم الخالدة .. أنتم

يا أعوانى الكالحين .. يا خدام الجلاد الذى هو أنا .. !

الشياطين (معاً) : أى ابليس .. كن بنا راحياً يا أمير الشر .. اصغ إلينا

يا قلب الطاوية .. سامحنا !

ميفيستوفيليس : آه يا وحوش جهنم .. ياملاعين الظلمات .. هل نسينم

أن لا مكان للثورات فى جهنم ؟

الشياطين (معاً) : أى ابليس .. ابليس .. سامحنا

ميفيستوفيليس : يا كلاباً مسعورة .. ترتجفون الآن .. !
 الشياطين : (على وتيرة واحدة تارة بعد أخرى) يا قلب الهاوية ..
 يا قنطرة الحقد .. يا آبار القرية .. يا ظل الحقيقة !
 ميفيستوفيليس : (مطرقة بسوطه) اسكتوا .. كفوا عن الهذر الشنيع
 يا جبناء .. كنت زماني ملاكاً لو أنني تذلت هكلما
 مثلكم .. آه .. أى عقاب يتزل بي فى انخاضى لكم
 وكلاء لأعمالى أيها السفلة المتوحشون .. إنكم دميمون
 يا للتقرز .. ! لقد سئمت عملية الاهلاك المملة هذه .
 والى تلازمنى كظلى إلى الأبد أمام وجوهكم البشعة
 يا كفر مجسد ويا أدوات هلع تمارس بها كل الحفارات ..
 يا للبؤس .. دائماً افعل نفس الشئ .. ما أسعد الإنسان
 الحى .. يتنقل بين الخير والشر والشر والخير .. ويتحرك
 بين النور والظلام .. يجب ويرفض ويمارس كل القيم
 التى يحتمها الجسد والروح والغرائز والعقل والشكوك
 والصدف فى حياته اللامعقولة .. وفى استطاعته أن
 يربح ويخسر .. أما أنا .. كوفى شيطاناً فهو البؤس
 بعينه (يضحك الشياطين) تضحكون أيها الكلاب
 القلدة يا منقط المتاع .. اضحكوا .. اضحكوا ..
 (يضربهم بسوطه ذى التسع شعب) اضحكوا ..
 اضحكوا .. أطلقوا هذه الضحكة السوداء المشحونة
 بصرير السلاسل . أليس فى استطاعتى أن أدمركم وأدمر
 نفسى (لعستروت) بم تمرمر يا حلقى ظل عفن ؟

عسروت

: يا سيدى .. إننا نقبلك حسب الطقوس وتقبل عجزتك ..
وتقدم إليك في احترام تحية أقدر روائحنا العفنة المتصاعدة
من أجسادنا . تقبل بخورنا .. وما نحن مجتمعون حسب
أوامرك ينتظر غباؤنا من فخامة سوء نيتكم ما تفضل
باملائه علينا لممارسة خبثنا وردائنا واتلافنا وإشاعة
اضطراب عضوى أياً كان في هذا البيت .. كريك
كريك ..

ميفيستوفيليس

: كفى كفى يا قراضة .. يا سيء التشحيم .. إنك حقاً تصر
كثيراً .. في استطاعتك أن تقرض الشيطان .. هل يا ترى
سوف تحيل جوهر الخلود ماداً ؟

بليال

: عظيم .. قول عظيم ..

ميفيستوفيليس

: اسكت يا ختير .. أنا لا أعانى إلا من تسخير الناس
لى .. الأرفع شأناً بينهم هم الذين يحسنون الحديث عنى ..
سكوت إذن .. أنصتوا وارتعدوا .. هنا يعيش رجل يدعى
فاوست يسخر من الجحيم .. يهمنى شخصياً .. إنه رجل
قوى عليكم يا رعاع .. أشغلوا أنفسكم بالمتزل ..
وليتخذ القلق فيه موطناً .. وليختلط الأسى فيه بالهواء
والظل .. والأنين بالآثا .. والرجفة بالفراش ..
وليخفق الضوء بغرابة فى المصابيح ، وليعم الاحساس
بوجود حالة غير مفهومة ومفرعة ، تنتشر فى كل شىء
فى المتزل .. أما أنت يا جونجون فلانى أعهد إليك بهذا
الصبي هناك وتلك الفتاة التى ستحضر حالا . أريد أن

أراهما غداً مغوين .. يجب أن أراهما سائرين في
مسالك جسديهما ، طافحين بأشد سموم شهوتيهما حدة .
أحبكى لهما الحيل .. أبذري بالحب ضعفهما الليلي
دبري أحلامهما .. إملئي بالأمل المبهم قلوبهما الممتلئين
بالقوى تماماً ، واجعليهما يستيقظان في حالة اقتراب من
الرغبة ، وتعلق بالحنان الذي يكفل لأقل عارض أن
يدفعهما الواحد صوب الآخر .. أنت تعرفين كيف
تقلدين الصدقة .. تسلطي حالا على هذا الصبي الذي
أدرت له عقله الأرعن قليلاً .. أما الفتاة فأوليها عنايتك .
فيها بعض نغموض معين هذه البطة .. سوف أهمس
لها بشيء ..

(يعطى إشارة فيتحرك الشياطين من
أما كنهم ويخلون وسط المسرح)

المنظر الثالث

نفس الأشخاص - لوست

(تشاهد لوست حاملة مصباحاً في
يدها . المفروض أن الشياطين غير
محسوسين من البشر ويضحكون دون
أن يسمعون أحد) .

لوست : إلى بكتاب .. كتاب حتى لا أفكر .. كتاب يحول بيني

وبين نفسي .. لكن أى كتاب يا قلبي .. أى كتاب هذه
الليلة يستطيع أن يغرينى بحياة أخرى غير حياتى ؟ أى قصة ..
أى رواية ؟ بينما لا أفعل سوى اختراع شىء من السعادة
وشىء من البؤس بقدر ما أستطيع .. وأعيش تماماً وبكل
كيانى انتقالات نفسى ووثباتها وسقطاتها المتكررة .. آه لو
أعرف ما تريد هذه النفس .. ؟

(فى هذه اللحظة يقف ميفستوفيليس
المختبئ فرضاً خلفها ويتبادلان معاً
بصوت منخفض الحوار التالى)

معا : أنت تعرفين جيداً ما تريد .. تعرفين كثيراً ما تريد ..
ولا تجسرين على التحدث إلى نفسك بما تجسرين على
الاحساس به . انه وشيك الوقوع ...

لومست : عجباً .. أى صوت يحدثنى غير صوتى .. ومن التى تعذبنى
وكأنها واحدة غيرى .. فلاأهرب إلى فراشى من أفكارى ..
كتاب .. كتاب .. كى لا أسمع نفسى .. لكن يبدو لى أننى
لن أقرأ قط .. يا لقلبي .. ماذا تفعل من أجل كل هذه
الكتب التى ليست إلا عقولاً ميتة وأشياء تستطيع الادعاء
لنفسها ..

معا : استمعى إلى يا صغيرتى .. استمعى إلى .. إننى أشد أصواتك
إخلاصاً ! استمعى جيداً .. أنا حقيقتك ، طريقك ، حياتك
.. استمعى إلى .. هذه هى النصيحة المخلصة ..

لوسنت : أى صوت يحدثنى وهو صوتى .. ومن الذى يشوش على ؟
معا : استمعى .. استمعى .. انها النصيحة الوحيدة .. أحببى
نفسك ! ...

لوسنت : يا لقلبي الذى يعرف كل شيء ! يقفر فجأة .. يتوقف
فجأة قبل أية فكرة .. إنه هنا .. كالقبضة المقلبة تمسك
بكل ما هو هام ..

معا : أحببى نفسك .. أحببى نفسك .. أحببى كل رغباتك ..
(هنا يظهر ميفيستوفيليس ويمر
أمام لوسنت محيياً)

ميفيستوفيليس : تبحثين عن كتاب يا عزيزتى التى ليست عندها أية رغبة فى
القراءة (تشاهده فترنعد وهى تتفهم) أنت على حق ..
فى إمكان الإنسان أن يفكر فى أشياء أخرى كثيرة .. كل
ما يمكن أن يكتب بلاهة .. وكل ما يعجز اللسان عن وصفه
لا قيمة له (تتفهم) ألا ترالين دائماً تخشينى ؟ أستطيع أن
أخيف دون شك .. أريتك حتى بعض هذا الخوف ..
ومع هذا أستطيع تقديم أية خدمة لك .. (تدبر له ظهرها)
عجباً .. ألا تعرفين ما ترغبين فيه .. لكن أنا أراه واضحاً
فى الخفاء كالقطط .. أنا أتصرف ... أسهل الأمور ..
الناس يخافون من أفكارهم .. يخافون حب من يحبونهم ...
لماذا تبحثين عن كتاب وفى الكتاب كل سخافات الآخرين ؟
إقرئى وأعيدى قراءة هذه القصة المحببة إلى نفسك والتى
لا تكف عن كتابة نفسها وتشكيل نفسها فى رأسك وتنمو

وتكتسب حياة مثلك أنت تماماً .. إن لم تكن أكثر منك
حياة .. أما الشعر فلست في أدنى حاجة إليه .. لأن شخصك
كله شعر .. وفي عينيك وعلى محياك بتلاً وهج غنائى .
والثراء الغزير لعاطفتك العارمة يوحى لكل كيانك بوجود
الجمال الطاغى .. أنت جميلة ! جميلة ! (تنحنى وجهها)
هيا لا تنحنى ما يخلب لب الشيطان ... تقبلى إطراء خبير
لا مصلحة له مطلقاً .. أنا لا أتذوق غير الملائكة .. وهم
يزعجوننى ..

(يقهقه الشياطين)

لوست : الوحش .. دائماً هنا ..

ميفيستوفيليس : أرأيت يا طفلى يا غاية فى النقاء كم أنا فطن .. قلت لك
أنك فى أحسن حالاتك جمالا .. وأنا لم أبحث ؛ ولا أردت
أن أبحث ما يسبغ عليك هذا الجمال الوافر .. وعلى أية
حال أنت تعرفين جيداً أننى أقرأ خفايا النفس كما يقرأ
الناس فى الضوء ؛ وأعلم أن الحقائق تخيف بادية الأمر من
يشكلها فى داخله ؛ وأنها تنمو بعيداً عن الضوء .. لكن
لا ترتعدى إذن .. بم تحسين ؟

(فى هذه اللحظة تشاهد لوست التلميذ النائم فترتعش
ويتملكها الفزع فتصرخ) :

لوست : أوه .. ميت ..

ميفيستوفيليس : ميت من النوم .. أنه يتنفس جيداً .. ماذا أفعل أنا بميت ؟

الميت بالنسبة لى قضية متتهية .. لا .. إنه ليس إلا شابا لطيفا انجذب إلى هنا كما تنجذب أية حشرة إلى اللهب .. جاء ليستضىء بنور فاوست فى منبعه .. أخشى ألا يكون الدكتور قد طرده تقريبا ؛ واشفاقا منى — سواء أكان هذا الاشفاق مترها عن الغرض أو غير متره استيقته هنا .. أريد أن ألقنه المذهب الصحيح ..

انظرى فعلا إلى ثمرة تعالمنى .. أنىم كأى أستاذ قادر...

لوست : يا له من بائس .. لماذا بقى هنا ؟ إنه فى ريعان الشباب ! لقد ضاع .. آه لوكان يعرف أى خفاش ..

ميفيستوفيليس : لفظ ضعيفة ..

لوست : أكرهك ! أكرهك !

ميفيستوفيليس : كراهيتك لى تعنى حبى ..

لوست : قطعا أنت أسمى جهنم ذاتها .. روح الشر ذاتها ..

ميفيستوفيليس : كان لابد من واحد يودى هذه الفريضة .. أنا مخلوق مثلك ..

لوست : ياربى ... ياربى ..

ميفيستوفيليس : لا داعى لهذه الألفاظ النابية .. أليس مكتوبا عليكم أن

تقعوا فى الغواية ؟ ألا أقوم بما فرض على ؟ أكان لزاما

أن يقوم بها الخالق ؟ ثم أليس الأمر فى حاجة إلى بعض

المساعدين الحاقدين بما فيه الكفاية كى يمدوه بكمية الفرع

والقسوة والتلدبة التى هو فى حاجة إليها للاختبار والاختيار

والعقاب ؟ ألفت داهية لمن يقع ! ماذا يكون الجزاء بدونى ؟

إثنى كل الخطر اللازم من أجل إقامة الحق .

عستروت : يا لأهمية ما يقول .. !

بليال : أظنك لست فى ضيق الآن .. ؟ ها هو يتحدث كالملاك .

لوست : ياسيدى .. ياسيدى ..

ميفيستوفيليس : الأمر لا يتعلق بقولك : يا سيدى ... ياسيدى ... يا صغيرتى
لوست .. يهلك جداً إذن أمر هذا الصبي ؟

لوست : أنا لا أعرفه أبدا ... إنه أنت الذى أعرف ... إثنى ارتعد
فرقا من أجل الانسان ..

ميفيستوفيليس : ترعدين من أجل انسان لا تعرفينه ؟ هاهاها ... إعرفيه
أولا على الأقل .. اعطينى مصباحك ... انظرى ؛ هاأنذا
أتى عليه الضوء. لطيف .. أليس كذلك ؟ يستحق أن ينشغل
به الانسان ويتشاجر بسبيه مع الشيطان ..

جونجون : ياله من ماهر .

بليال : نعم .. ياله من ماهر هذا الماهر .

جونجون : الفاجرة ... سمريت عينها عليه .. انظر إلى هذه البراعة .

عستروت : والنفس مطمئنة ... هى هى هى .

لوست : يا له من طفل بائس ! فى ريعان الشباب ! يرقد هنا دون

أن يملك عن نفسه دفعا . يجب أن أنذره (تناديه صائحة)

ياسيدى .. سيدى .. ! أصبح من نومك ياسيدى !

ميفيستوفيليس : لا فائدة .. إنه ينام على طريقي .. الصبغة بالنسبة له
مجرد شوشرة بلا داع ... لكن غدا فى الصباح تجديته

صاحبا تماما ... سوف ترين كم هو لطيف وناض ورفيق...
انظري الى هذه الجبهة الصافية ... إن أى واحد يتمنى
أن ينام مثله معه ... قريبا جداً منه ... قريبا جداً
جداً منه .

الشياطين : آه ... النوم النوم .. نحن لا ننام أبداً .. آه النوم ! أى حلم !
لوست : ما الذى ستصنع به ؟ .. ابتعد عن هذا الشاب .

ميفيستوفيليس : أنا ؟ ليس لى حرية فى الاختيار ... لا تنسبى إلى تردد
القدرة العليا وأهوائها .. أنا أكثر استقلالاً ... أنا الشر
الحالص تماما .. لا أعرف الحلول الوسط وهذه المساومات
وتلك الرحمة والمتناقضات والجماليات التى هى ليست إلا من
صفات السماء .

لوست : أوه ... هأنذا أعرف الكثير .. أنت الحق الذى لا يحمد..
سأجرى أناذى الأستاذ ... هو الوحيد الذى يستطيع
التصرف .

ميفيستوفيليس : نعم .. الأستاذ .. هاهاها ... ربما يعجب لهذا الاهتمام
الذى تبدينه بهذا التلميذ العابر الذى انغرز فى بيته دون
علمه ... فاوست ليس من هواة الشبان .. ثم إننى أريد
أن أسأله عما إذا كان يستسيغ هذا الشعور الطيب من فاته
للبلورية نحو هذا العصفور الجميل .. إنه حقا شاب وسميم
بما فيه الكفاية ... هذا الولد .

(يأتى عليه الضوء) .

لوست : أيها الوحش .. وحش ..

ميفيستوفيليس : الشغل أولا .. — على حد قول أحد البابوات ..

بليال : إننى أعرف هذا البابا ... يقيم فى مغارة بال .

ميفيستوفيليس : لكن ... هل أنت متأكدة تماما من أننى لن أجعل هذا الولد يحب ؟ خبرينى يا لوست . لا تظنين أن لا حول له ولا قوة أمامى ؟ ربما تظنين دون أدنى شك أن لا حول له ولا قوة أمامك ؟ أليس كذلك ؟ أمام عينيك ... أليس كذلك ؟

عسترون : أوه .. الثعبان الأصيل !

(يضحك الشياطين بضجة) .

لوست : إنه لا يعرفنى قط ... ولن يرى قط .

ميفيستوفيليس : يا للعجب ... أستطيع تماما أن أقدمك إليه فى حلم ما ... وسوف يعرفك عند صحوه ... ما رأيك .. ؟ سوف يحن من هذا ... هل تفهمين ؟ لكن ... على الرغم من أننى . أستطيع كل هذا ... فليس فى مقدورى أن أسيطر على حرите . على .. حر .. حر .. حر ... إنه حر ! ... أقول لك إنه حر ... حر وأنا مقيد بالسلاسل ... لا أستطيع سوى المحاولة ... التجربة .. الغواية كما تقولين .. لكن الاختيار ملك يديك آخر الامر ... لقد منحت القوة العليا القوة السفلى حق الصيد فى غاية الاختيار اللانهائية ... إنها غاية سحرية مشوشة فى داخلك ... وهأنذا ألقى فيها بشباكى وأضاعف فيها من كمائتى وأستغل الصدف ...

ثم أنام ... وبعد ذلك أشتغل على راحتي ... لا تفكير ولا
تحفظ ... إذ بمعاونة كل أنواع الضعف البشرى أتآمر
مع أرواح الجسد .. فأرسم في الظلام أبهى ألوان الحياة ..
لكن الروح في يقظتها تستطيع أن تفلت مني .. إنها عملية
صراع يا لوست !

لوست : أى صراع غير متكافئ .. !

ميفيستوفيليس : دون شك ... فتاة جميلة مثلك يا لوست لابد أن تكون
في دائرة اهتمامي ... هذه الميزات الساحرة التي تمتاز بها
عينك ، هي التي تستطيع ياوردني النصرة ، أن تعطف أى
إنسان ناحية الشر الذي يجب أن أقترفه .. انظري كيف
أتكلم بصراحة ، أنا الذي يقول الناس عنه خداعاً .. أفصحى ..
كوني أنت كذلك صريحة مثلي (ينظر إليها نظرة ثابتة)
أفصحى ... هل تحبين فاوست ؟

لوست : حب ؟ هذه الكلمة لا تعنى في نظرك إلا شيئاً واحداً أجهله .

ميفيستوفيليس : هو هو هو !

لوست : هل أنا شفاقة في نظرك أم لست كذلك ؟

ميفيستوفيليس : سيكون الشيطان صريحاً ... إن قلبك يربكني .. إنه يحيرني
أحياناً كما يحيرني ذكاء فاوست المتقد ويقظته المفرطة .

لوست : قلبي غامض بالنسبة لك كما هو غامض بالنسبة لي ... ومع
أنك شيطان لا تستطيع فهم ما فيه ... على كل حال ... أنت
شيطان ... شيطان منحط مهزوم ... وبالجمله ضعيف

جداً .. خائب ... حثالة .. ملقى بك فى ميأزيب الخليفة ..
إذهب أيها الشرير ... أنت لا تقدر على شىء فى قلبى ...
ولا تفهم فيه شيئاً شيئاً شيئاً .. لم تعد فىك موسيقى ..
يا لك من قلب يا قلبى ... أنت تسخر من الشر .. وحتى
من الخير .. لست إلا روحاً ! كذلك الملائكة أنفسهم
ورؤساءهم المخلصون ، وكل هذه الفئة من أبناء النور وقوى
الايمان العميق لا يستطيعون الفهم .. لانهم أنقياء ، شديداً بالبأس
أقوياء .. أما الرقة .. ! ماذا تريد غير أناس خالدين
يستطيعون الإحساس بقيمة النظرة ... بقيمة اللحظة !
بقيمة نعمة الضعف ... نعمة خير يجب الاستمسك به بين
الميلاد والموت ... إن هؤلاء البشر ليسوا إلا نورا وأنت
لست إلا ظلاماً ... لكن أنا .. لكن نحن .. نحن نحمل
وضوحنا وغموضنا ... صراحة أقول لك أيها الجحيم :
الجلود شىء يسير بالنسبة لى ..

ميفيستوفيليس : تاتانا ... نهاية ساذجة .. أقصد بالنسبة للبداية العظيمة ..
الأرواح ليست غبية كما تعتقدون ... ولا الملائكة بلداء
جداً ... ماذا تظنين الحصول عليه من فاوست ؟ إنه أكثر
بلادة منى .. وإذا لم يكن لديه أى شعور نحوك يا جميلتى
فى هذه الحالة إما أن يكون قد فقد مجاده أو أنه فقد
الإحساس تماماً ... النهاية ... هل تحبينه ؟

لوست : وهل أعرف أنا ؟ غيابه بالنسبة لى حضور .. ووجوده
يسيطر على دائماً بشكل غير معقول . فإذا ما وجد بالقرب

منى ، فإنه ليس هو تقريبا ، مادامت الرواية لم تعد التفكير فيه .. إننى الضالة بعينها معه ..

جونجون : يا فاسقة ... أعرف طريقتك فى التفكير فيه وهو غائب ،
ميفيستوفيليس : خبزنى .. الخوخة التى اقتسمتها كانت للذئبة .. أليس كذلك ؟

لوست : لماذا توجه إلى هذا السؤال ؟

ميفيستوفيليس : لأنها كانت من بستانى .

لوست : (بصوت منخفض) : كانت حلوة جداً تقريبا ..
(خبطة)

ميفيستوفيليس : أردت أن أنتزع منك هذه الإجابة وإلا كنت كاذبة :
(خبطة)

المنظر الرابع

نفس الأشخاص - الخادم

(يعمل الخادم مصباحا) .

الخادم : لا تؤاخذينى يا آنسة .. آسف يا سيدى .. من أجل الشغل ..

لوست : ماذا حدث ؟

الخادم : حدث ... ماذا حدث ؟ نعم ماذا حدث ؟ أنا مبجل الفكر ..

إننى مبجل الفكر .. دماغى مشوش ... عجيبة .. عجيبة ..
(يسخر الشياطين منه ويتغامزون ويقفزون) لدى إحساس

في هذه الأيام ، بأن البيت مملوء بالعناكب . وأن أفكارى
مملوءة بالخيوط .. لا أستطيع التفكير في شيء دون التفكير
في كل شيء ، ولا في أى شيء دون التفكير في لاشيء ...
أمر عجيب (يشاهد التلميذ) انظر ... واحد أيضاً ..
عجيبه ... عجيبه .. هذا يربكنى .. أنا مرتبك .. كدت
أفرغ من إعداد الغرقة الحمراء من أجل سيدى .. أعددت
نارا جديدة ..

ميفيستوفيليس : لا جدوى .

الخادم : هاهو ذا سيد آخر .. ! أين أضعه ؟ إنه نائم فعلا .

ميفيستوفيليس : معى ، طوال الليل .. بمفردى .. أخاف .

(يضحك الشياطين بصوت مرتفع) .

الخادم : من أى شيء تخاف يا سيدى ؟ أنا لا أخاف إلا من رأسى ..

عجبا ... الإنسان لا يخشى قط شيئا إلا رأسه .. النهاية ..
مادام سيدى يسمح أن يأخذ معه هذا السيد ، فقد حلت
المشكلة .. هأنذا أتنفس الصعداء ، لأن فى هذه الأيام
لا شيء موضوع فى نصابه أبداً .. أريد أن أتحدث فى هذا
الأمر مع سيدى الأستاذ باحترام .. لكن لا أجرو .. إنه
ينظر اليك بعينيه النفاذتين اللتين تجعلان الإنسان أمامه يبدو
غيبا باتسا .. أصبح أمامه حيوانا .. كلبا حينما ينظر إلى .

لومت : المهم .. ما الذى حدث ؟

الخادم : يا آنسى أنا قوى الملاحظة ... لى تفكيرى .. مهما كان

الانسان خادما فله رأيه وحتى مزاعمه .. نعم .. انتظري ..
أنا مرتبك (يضحك الشياطين بصوت مرتفع جدا)
أوه .. أى ربح .. عجباً .. عجباً .. كل صباح فى هذه
الأيام تحدث لى دائما حادثة غريبة .. تصورى .. بينا
أكون فى حجرة الكرار أغلى لبنى .. هيه ؟ عظيم ...
بعد ذلك .. هيه ؟ فى نفس اللحظة .. هيه ؟ فى نفس اللحظة
التي يفور فيها اللبن أقع فريسة سرحان بسيط ليس له أى
قيمة بالمرّة ... وفجأة يطفح اللبن ... يطفح وينسكب
فوق النار .. يحدث هذا كل يوم .. مع أننى عارف ومتأكد
أن هذا سيحدث فلا أحول نظرى عنه .. أراقبه وأحدثه ..،
أقول له : انتظر انتظر .. هيه ؟ عظيم ... العجيبة أنه
يسخر من كل هذا .. وفى اللحظة المناسبة أمد يدي لآنزله
من فوق النار ... هيه ؟ كراك ! تأتى فكرة .. لا أدرى
كيف تجد طريقها بين عيني اللتين تلاحظان وبنى ، أنا
المتأهب لانزال الاناء ؟ باختصار كراك .. الفكرة !
وبلوف ... يغلى لبنى وينسكب وكأن الشيطان فى أثره

بليال : الشيطان .. جاهز !

(كل الشياطين يتقصعون ويضجون بالضحك)

ميفيستوفيليس : هذا واضح .. إنها روح اللبن ...

الخادم : هل تظن هذا ياسيدى ؟ بكل تأكيد هو ذا .. روح اللبن ..

اسمح لى ، أنا موافق على هذا رأى .. أنا لم أتم دراستى
ولكننى قوى الملاحظة .. نعم ياسيدى .. يوجد بكل تأكيد

في كل الأعمال لحظة لا تذكر من الوقت .. لحظة ضئيلة جدا ... أضال من الضلالة من وقت الشيطان .. لحظة كافية بالضبط لارتكاب حماقة كان الواحد يتجنب وقوعها تماما ومحافظا عليها جيدا في داخله على حدة ... مهيمتا عليها .. أوه .. متأكدا كل التأكيد بأنه لن يرتكبها .. كانت عيني عليه ... أي والله، ثم بوف .. فار .. قفز .. فاض .. كل لبن البراءة ، وانسكب على الفحم (يضحك الشياطين) يالريح في هذا المساء ... انظروا إلى ربح الشيطان هذه ... نعم .. بهذه الطريقة على أي حال ، يجد الطيبون أنفسهم في كثير من الأحيان قد تحولوا إلى مجرمين دون أن يدركوا كيف ولماذا ؟ يحدث في رؤوسهم فجأة شيء ضئيل كأنه من وحى الشيطان وكراك ! تقع الحماقة دون أن يكون قد دبرها أحد .. ومن الذي دبرها ؟ لا أحد . وبهذه الطريقة يقعون في المعصية ... ويصبحون فيجدون أنفسهم في غمرة البؤس ...

ميفيستوفيليس : غالبا ما يجدون أنفسهم في غمرة السعادة

الخدم : نحن دائما مغفلون ياسيدي .. لكن ألسنا هكذا جميعا إلى حد ما ... في هذا العالم ؟ أقل القليل من لحظة الشيطان ..

ميفيستوفيليس : ها نحن مفهومان ...

جونجون : اضطراب فظيع ! بلوف ...

الشياطين (في نفس واحد) بلوف

الخادم : هل تسمح الآنسة بالحجى . معى ؟ أظن سيدى الاستاذ أمر
بأعداد المائدة . غدا يوم السوق ومستر حل الطاهية فى
الصباح الباكر .

لوست : أنا آتية .

(تخرج بقوة يتبعها الخادم الذى يفتح لها باب مؤخرة
المسرح مفسحا لها الطريق . فى اللحظة التى يمر فيها من
الباب ليخرج بدوره يقفز بليان ويطقى له المصباح . ظلام)

الخادم : انظروا ... انظروا

الشياطين : إلينا إلينا .. يا بلبله

ميفيستوفيليس : (بصوت مرتفع) : هيللا ! هيللا ! هيللا ! شقاق !
هيللا .. فوضى ! أوثوم بوثوم

الشياطين : إلينا إلينا . يا بلبله

(ضوضاء كثيرة .. ضحكات .. صرخات .. صيحات فى
الظلام)

المنظر الخامس

ميفيستوفيليس — التلميذ

(التلميذ مازال نائما ورأسه فوق الكتاب)

ميفيستوفيليس : لوست كانت تبحث عن كتاب ... عن كتاب كى
لا تفكر ... التفكير هو ما يمارسونه حينما لا يمارسون

شيئا ... فتاة غريبة ... تفكر فيمن ؟ في أى شيء ؟
في فاوست ؟ في فاوست بقصد المتعة ؟ في فاوست المحطم
الفاشل في الحب ؟ لا لا ... إنها فتاة غريبة : (يقف وهو
في غاية الاهتزاز والحيرة) لا أدري ماذا تريد من فاوست .
بين رجل وامرأة لا يوجد إلا ثلاثة احتمالات .. هي نفسها
لا تعرف .. سوف أعرف أنا حالا وما دامت لا تعرف ،
فهى بالنسبة لى غامضة أنا الكائن بلا جسد .. أنا الذى
لا ينام ولا يفكر ... بمجرد أن يبتعد هؤلاء المجانين البؤساء
عن الغريزة ، أتوه أنا فى أهواء وعقم أو عمق انفعالات
رؤوسهم التى يسمونها افكارا . لقد تهت فى هذا الفاوست
الذى يبدو أنه يفهمنى ، فى معظم الاحيان ، خلافا لما يجب أن
يفهمنى ، وكأنه يوجد عالم آخر غير عالم الآخرة ... فهو
يحبس نفسه هنا ويتسلى مع ما يوجد فى الدهن ويحرك ويبتدر
هذا الخليط مما يعرفه وما يجهله مما يسمونه فكرا ... كانت
تبحث عن كتاب ... كتاب كى لا تفكر ... إنها تماما
مسألة تفكير ... إنها لا تعرف ماتريد وتريده بكل قواها ...
وما تريده يضمنها ... أفهذا نوع من العذاب لا أعرفه
أبدا ؟ لقد تهت ... تهت فى عقل فاوست وفى نفس لوست ..
توهان الشيطان ... أنا لا أعرف التفكير وليس لى عقل ..
ولهذا السبب فأنا لا أعرف إلا واجبي ... على بالآخر
(الآن .. ببساطة جدا) (يؤدى حركات سحرية فوق النائم)
هوب ! هيرى .. هوب ! عد ... فلتولد من جديد ..
عد إلى الحياة ... استرجع يدك وعينيك وشفقتك ...

هأنذا أحطم دائرة ظل النوم ... أيتها القوى تجمعي ..
ياشرارة الحقيقة أضيئي من جديد هذا الأبله هيرى ...
هوب !

التلميذ : (وهو يتمطى ويتشاءب ويفتح عينيه باتساع - تضيء
الثرىا النحاسية) آه .. آه (يتشاءب) ما أكثرها من كتب .
لم أقرأ قط بمثل هذه الكثرة . أوف (يرمق ميفيستوفيليس)
عجبا .. الا تزال هنا ؟ لقد تركتك ... وبمجرد أن تركتك
هأنذا أبعدك ثانية ... أمر عجيب . كنت نائما دون شك
وأحلم بك

ميفيستوفيليس : لا .. كنت تقرأ .. فقط كنت تقرأ عن كتب جدا وأنفك
مدسوس في هذا النثر الصفيق ..

التلميذ : أننى ؟ عجبا ... القراءة أول كل شى ليست إلا ذهاب
وليا ب الانف الذى يتجه من اليسار الى اليمين وبطير من
اليمين الى اليسار .. إن المؤلف يرغم الانف الذى لا يرضخ
دائما ... المهم قراءة أو لا قراءة ، كان حلما للذيذا ...
خرجت من شعر للذيد يا عزيزى لا من نثر صفيق .

ميفيستوفيليس : لم يكن النثر قط إلا أسوأ مسلك يا عزيزى . وماذا بعد ؟

التلميذ : وماذا بعد ؟ لكن كيف تفسر الشعر ؟ كيف تعبر عنه .
لا يوجد اسم لهذه المتعة .. متعة جديدة يشوبها الامى فى
بعض الاحيان .. لكنه أسى للذيد .. كنت أستشعر فى
لحظاته سعادة داخلية مع إحساسى الحاد بأننى ألتى بنفسى
نحو غاية دانية ... نحو أى موت غير مفهوم كان يحتم

نفسه في فرع أكثر فأكثر ... موت مبعثه قوة الشعور ..

لا .. إنه شيء لا يمكن وصفه ... أقول أشياء غير معقولة

ميفيستوفيليس : ياسيدى اللامعقول له حججه التي يشك فيها العقل .

التلميذ : ومن هذا .. كنت أفقد صوابى في اضطراب مسكر لتقارب

لطيف أو منعش حيث كانت اليدان اللتان كنت أظنهما في

جسدى تمسكان وتلمسان وتخطئان وهما تتحسان قسما

جسد تمثال حى لفينوس ذائبة .

ميفيستوفيليس : خذ حذرک من الحب ... أرجو ألا تكون هذه القسما

قط قسما امرأة كايزابيل (١) .. لم يكن شعرك إلا ابتداء

للقوى الشابة في مثل سنك .. كل تلك القسما الساحرة ..

وتلك الاعضاء الحلوة تفسر نفسها جيدا .. هذا الحلم كله

مملوء بالوعود ...

التلميذ : (مرددا) وأخلفت الثمار مواعيد الورود

ميفيستوفيليس : آمل هذا ... إنه رأى الطبيعة العطوفة .. وهى تعرف غنى

هذا أكثر مما يعرف فاوست يا صديقى الشاب ... وأنا ماذا

كان دورى في تلك المذبحة العاطفية ..؟

التلميذ : أنت؟ هذه وحدها قصة. لكنى أكاد أنساها. عند هذه النقطة

بالذات ينقطع الخيط وتموت ذاكرتى .. كل ما أذكره

(١) ايزابيل هى زوجة أخاب أحد ملوك بنى اسرائيل وام عطالى التى قتلت بناء على أمر يوحنا النبى والتهمت جسدها الكلاب . وقد وردت هذه القصة فى الانجيل ، كما وردت فى دراما راسين المشهورة فى ذلك الحلم المشهور الذى رآه بطل هذه الدراما فى نومه .

فقط هو أنك نقلت إلى هذا الشيء العجيب في أشد اللحظات
عاطفية فحدثت القطة ..

ميفيستوفيليس : أنا ؟ أفصم عرى الغواية ؟ لا يمكن ..

التلميذ : حينما أقول أنت ... فقد كنت أنت ولست أنت ..

كان عملاقا بجافا نحيلًا بشكل غير معقول .. أكثر نحافة
منك وأسود ... أسود كقطعة فحم لامعة ... وعلى أي
حال فقد عرفت أنه أنت ..

ميفيستوفيليس : في الحلم كما في الحفل التنكري .. يحتمل أنها كانت رحلة
لا بد منها للتحرك في كرنفال حريتك الليلية

التلميذ : لكن ربما لا أزال أحلم .. ماذا أفعل هنا ؟ وكم الساعة
الآن ؟

ميفيستوفيليس : إنها الساعة التي يجب أن تكون .. الساعة التي يجب أن

توجد كي تصير الأشياء التي يجب أن تصير مع بعضها
مع بعضها .. ولكي لا تسلي أبدا الأشياء التي كانت ،
مع الأشياء التي تستطيع أن تكون ... لماذا احتجرتك
تحت هذا السقف ؟ لدى أسباب تدعوني إلى التفكير في
أن الدكتور يشعر ببعض الأسف على الاستقبال الفاتر
الذي استقبل به شابا متحمسا جاء من بعيد جدا كي يعرب
له عن حبه .. ولن بغضبه أن يزين بعض الشيء الانطباع
المتسرع الذي استطاع أن يتركه في نفسك عنه .. فهو
غالبا ما يرجع الى نفسه كأي رجل عظيم .. ثم فكرت
... سواء أكنت مخطئا أم على صواب ... في أنه ربما يهلك ،

وأنت كما يبدو لي مستعد دائما للابتسام لمباهج الحياة ،
أن تتعرف على فتاة شابة في حيرة من أمرها ولها دون
شك أحلامها مثلك تماما .. فتاة جذابة تعمل سكرتيرة
للدكتور .

التلميذ : سكرتيرة الدكتور ؟ كيف ؟ ألا تكون أنت .. أنت ..
ربما .. والد هذه الفتاة وتفكر في استقرارها ؟

ميفيستوفيليس : أنا ؟ ليس لي أولاد بكل أسف
التلميذ : لكن .. لا بد وأنت تقوم بدور معين هنا .. إلى من أتشرف
بالحديث ؟

ميفيستوفيليس : إلى العملاق النحيل الأسود ..
التلميذ : لا يمكن !

(يهز كتفيه)

ميفيستوفيليس : من أكون اذن ؟ لن تصدقني اذا قلت لك .. على كل حال
هذا غير مهم .. ثم إن تعريف الانسان بشخصه للناس
يعنى دائما خداعهم ..

التلميذ : عجبا .. لكنك تؤدي عملا ما في هذه الحياة ؟

ميفيستوفيليس : في هذه الحياة ؟ (بصوت مكتوم) كريك ، كريك ،
هوم .. أؤدي فيها عملا .. قليلا من كثير .. ما دمت أقدم
ما يريد الناس .. هل تسمعي ؟ ما يريد الناس .. بل حتى
أدفعهم إلى ما يريدون .. أنا أستاذ الوجود .. أعلم حب
ما يجب .. والهرب مما لا يجب .. أعين على الحياة من
يحبون الحياة .. والتخلص منها بالنسبة لمن اكتفوا منها ..

أمنح الرضى .. أخدم .. اعتبرنى من أشد المتشدين بخدمة
أخوانهم رزاة .. أصلح لعمل كل شىء .. لما يؤخذ
وما يترك وما يعد خيرا .. وسواء نجحت أو لم انجح فأنى
أجازى بنكران الحميل دون أقل ندم على ما فعلت ..
على العكس لأنهم بمنجاة عن المضايقات التى قد تصادفنى فى
سبيل قضاء حوائجهم أو تحقيق رغبتهم أو مضاعفة بأسهم ..
التلميذ : أنت تقريبا كسلاح الجريمة أو الانتحار فى يد الرجل
اليائس ..

ميفيستوفيليس : يا لها من مقارنة مضبوطة .

التلميذ : المهم .. تعمل باخلاص من أجل الجنس البشرى ؟
ميفيستوفيليس : أنا الصديق الوحيد لهذا الجنس .. ليس أعز عندى من أن
أقدم لكل من يريد منه كل دواعى السرور المستطاعة ..
أزين الحياة وأبسطها وألهم وأمجد الحنة أو أجللها بالسواد ..
وفى كلمة واحدة : أخدم ..

التلميذ : أنت تخدم ؟ كان هناك فيما سبق من الزمان ملاك عظيم
ساقط ، صاح متحديا السماء :

« لن أخدم » وكان مغترا بنفسه ، شديد البأس . وقحا .
ميفيستوفيليس : (فى تواضع) لقد حدث هذا فى زمان غابر ... أما أنا
فأخدم . أخدم من يريد ، وأخدمه فيما يريد .. أخدمه فى
الحال .. دون ثرثرة ، ودون مساومة ، ولا ألقي من أخدم
مبادئ الأخلاق .. وبالاختصار أنا أفعل الخير .. أفعله
بنفس اللذة التى يفعل بها الناس الشر عادة ..

- التلميذ : شيطان .. !
- ميفيستوفيليس : ماذا ؟
- التلميذ : أقول : شيطان
- ميفيستوفيليس : هل هو نداء ؟
- التلميذ : طريقة في الحديث أو نوع معين من الأسف بدر مني
- ميفيستوفيليس : ماذا ؟
- التلميذ : نعم .. لم يعد للشيطان أى وجود .. وقد كان الرضى بعينه .. كان بمجرد أن يذكره الانسان يأتى اليه مهرولا .. فيبيع له نفسه .. ويغمره بجمائله .. ثم بعد ذلك ينقض فى اللحظة الشيطانية المناسبة ليفعل ما كان يجب عليه أن يفعله .. ينشب أظفاره فى هذه النفس العزيزة الخالدة ..
- ميفيستوفيليس : كاللص .. كالأنذال .. آه .. كالأوغاد .. الفردوس .. الفردوس مصير هؤلاء الذين أحتال عليهم
- التلميذ : بينى وبينك .. أليس هذا ما هو شائع بين الناس ، وفى الأدب ، فيما يتعلق بأستاذنا العظيم فاوست ؟
- ميفيستوفيليس : أنا .. لست متأكدا من شيء .. أنت تعلم أنه رجل عنيد هذا الدكتور ؟
- التلميذ : النهاية .. لا يوجد فى زمنا هذا شيطان أو أرواح .. وهذا شيء مؤلم للغاية .. كان فى منتهى النشاط وفى منتهى الوضوح وفى منتهى السهولة أن يبيع الانسان نفسه بشرط ثم يستعيدنها فى أسفل سافلين عند تصفية الجسد .

ميفيستوفيليس : يستطيع الانسان دائما أن يحاول .. افرض أن هذه الشخصية المشهورة التي نتحدث عنها لا تزال موجودة بشكل ما .. فماذا تفعل ؟ لا تعرف أبدا .. أليس كذلك ؟ أنا شغوف جدا لمعرفة ماتطلب منها ان تؤديه لك .. هيه ؟ (ينحنى كالبائع الذي يريد تقديم سلعة) المهم أنه لم يكن يعيش ككل الناس ، ككل العظماء ذاتهم إلا بفضل الثقة التي كانت ممنوحة له .. إذن .. قل العبارة المشهورة التي كان يقولها الناس في العصور الحالية : إلى بالشيطان .. ثم اطلب ماتتمنى ومسترى ..

التلميذ : ما أتمنى ؟ ما الذي أتمنى ؟ الاختيار محدود .. نفس فقيرة جدا فيما يتعلق برغباتها .. خذ عندك .. هأنذا أعد على أصابع يد واحدة .. أن أكون قويا (يعيد الاثنان معا على أصابعهما)

ميفيستوفيليس : واحد

التلميذ : وسيماً

ميفيستوفيليس : اثنين

التلميذ : محبوباً

ميفيستوفيليس : ثلاثة

التلميذ : غنياً

ميفيستوفيليس : أربعة

التلميذ : استاذاً

ميفيستوفيليس : خمسة .. خمسة أصابع .. هذا كل ما تتمنى
التلميذ : هذا فيما عدا ثلاثة أشياء لا يمكن أن تتحقق .. وهى أن
أصبح قويا ووسىما للغاية ومحبويا

ميفيستوفيليس : خذ حذرک من الحب
التلميذ : أنا شخصياً كفىل بهذا .. لكن أن أكون محبوباً عن طريق
الشيطان .. فهذا لا .. لا لا .. شكراً .. أنه عين الانحطاط
ميفيستوفيليس : أكثر من واحد فيما أعتقد رأوا فى هذا الحب عملا عظيما ..
ربما تصبح ذات يوم أقل عناداً ..

التلميذ : لا ياسيدى ، فى مسائل الحب لا يسمع الشيطان شيئاً .. لا يرى
فيه إلا النار ..

ميفيستوفيليس : نار السعادة !
التلميذ : لا يرى فيه غير لحظة متأججة يلتقى الناس فيها بأنفسهم أزواجاً
ليحترقوا باللهب كالحشرات .. وهم يظنون فى هذا
غاية يمكن الوصول إليها بالهدايا والكلمات الطيبة والحلوى
والشراب ؛ لكسير الحب .. يالها من سذاجة يلها .. لكن
كل هذه الوسائل الصغيرة المألوفة والمعروفة لاتمنحنى الحب
الذى أنا فى حاجة إليه .. أريد حباً كبيراً .. حباً من ذلك
النوع الذى يحملك على الاحساس بأنك تعيش بقوة أغنية ..
ترنيمة !

ميفيستوفيليس : ماذا ؟

التلميذ : ألا تفهم ؟

ميفيستوفيليس : أبداً

التلميذ : لست ماكرأ

ميفيستوفيليس : إلى حد ما على أى حال .. كما يقولون عنى

التلميذ : لست أكثر مكرأ من الماكر ذاته .. لا بد وأنتك تشتغل فى الأعمال إياها أنت أيضاً ؟

ميفيستوفيليس : فى بعض الأحيان : الحمل على الاحساس بالعيش بقوة أغنية .. ماذا يمكن أن يعنى هذا ؟

التلميذ : رح اسأل البلابل ..

ميفيستوفيليس : طيب .. لنندع الحب والطيور الصغيرة .. وماذا عن المال ؟

التلميذ : أشكرك .. أعرف ما يساوى. ولكنى أعرف ما يبذل فى سبيله .. إنه بكل بساطة يقطعك .. فلو أننى ورثت غداً ماذا أفعل فى نفس هذا الغد ؟ سوف أنحول فى الحال إلى بخيل وإلى سفيه .. نموذجان مستهلكان فى الملهاة البشرية .. سوف أشتري فندقاً وقصراً وفتيات ونحفاً رائعة ، أختارها جيداً ويختارها لى الآخرون .. توجد ألف طريقة وطريقة لتصفية الثروة الكبيرة التى آلت إلى .. أفعل ما يفعله الآخرون لأن الانسان يفعل ما يريده المال .. فيشتري الأشياء التى تقدم نفسها للشراء .. وهى دائماً نفس الأشياء .. الأشياء التى تتساوى عند الدفع : أصالة تساوى لؤلؤة .. وهذه اللؤلؤة تساوى سيدتين ، وهاتان تساويان ما تساويانه وهكذا .

عملية تجارية بحجة يجوز فيها كل شيء .. الأشياء .. الناس ..
التسلية .. الضمائر ..

ميفيستوفيليس : كل شيء .. كل شيء .. كل شيء ..

التلخيص : لا .. ليس كل شيء ! المهم .. بمجرد أن يصبح الإنسان
غنياً يغير أصدقاءه وأحياناً اسمه ودائماً مزاجه وذاته ..
عملية انفصام حتى عن الذات ..

ميفيستوفيليس : ها ها ها .. فهمت .. تعجبني أيها الشاب الفذ الذى يريد
أن يحقق ذاته فى الحب الطاهر واحتقار الذهب ؟ .. بحق
كل الشياطين .. أنت ترمى إلى بعيد جداً .. إنه الكبرياء
يسيطر عليك . الكبرياء أمير الخطايا .. ها ها ها .. فهمت ..
فيك تفرد .. الكبرياء .. الكبرياء .. أقصى الخطايا ..
للكبرياء الذى يرنو إلى الشمس ويسخر كل الفضائل
لخدمته .. يجعل منها خادومات له . يتسلل بكل المواهب ويسعى
فى طلب التجارب .. يعرف كيف يتخفى ويستحصد خلف
تواضع مدهش .. يرتدى مسوح القديسين والأتقياء
والأبطال والشهداء وكل من سار فى طريق هؤلاء المزعجين ..
ها ها ها .. أنت لا تعرف إلى أى حد أقدر هذا السم الذى
لا مثيل له حق قدره ، والذى كان ناجعاً فى غواية الأقوياء ..
آه لو تعرف .. آه لو تعرف (صمت ، مغمضاً عينيه فى
خشوع مائلاً العبارات) إنه يسرى سريعاً يودى من عل ..
من أعلى غلين فى بعض الأحيان ، لدرجة أن هذه السقطة

تجد لها عرشاً في الهاوية (صمت طويل) ماذا تتمنى
أخيراً ؟

التلميذ : أتمنى أن أصبح عظيماً

ميفيستوفيليس : في أى شئ ؟ ومثل من ؟ فاللعظمة وجوه كثيرة

التلميذ : مثل فاوست

ميفيستوفيليس : مثل فاوست ؟ لكن ألا ترى كم هو حزين موزع القلب ؟

التلميذ : من حقه أن يكون أكثر من هذا طالما لديه داع لأن يكونه ..

نعم .. مثل فاوست .. السيطرة على الروح بالروح ..

بروحى

ميفيستوفيليس : ولم لا .. أنا أحبك

التلميذ : بكل أسف .. مستحيل

ميفيستوفيليس : مستحيل ؟ ربما في نظرك وحدك .. أأست هنا معك وقريب

منك .. في كيانك تقريباً .. بل وبصورة أكبر من الدكتور ؛

هذا البخيل ؟ أساند وأنصح .. وقد قلت لك إننى أخدم

التلميذ : تنصح ؟ أنا لأبالي بالنصائح ، واستخدمها كوسيلة للاقلاع

عن شئ ؟ ثم إن الانسان يجب عليه أن يعرف كثيراً ..

يعرف كل شئ .. يعرف بقلدر ما يستطيع إنسان هذا

المجتمع أن يعرف .. المعرفة ، القوة ، الإرادة .. هذه هي

المفاتيح الثلاثة ..

ميفيستوفيليس : المعرفة أولاً ؟ المعرفة ؟ انظر إلى هذه الجدران (تضاء مؤخرة

المسرح وتبدو في العمق حجرة المكتبة المتسعة مضاءة

مغمورة بالكتب) لى الشرف أن أقدم لك كل ثمرة عقل
الجنس البشرى.

التلميذ : ياها من كتلة مقرزة ! لقد قالوا كل شيء .. كتب كتب !
ياها من قبور أدبية ..

ميفيستوفيليس : أى شيء لم يبق دون تفكير قط حتى يفكر فيه الانسان .. !!

التلميذ : كل هذه الأسفار المذنبه المدبرة بظهورها تماماً إلى الحياة ..
يعروها الحجل والندم على أنها كتبت .. فكم هناك من
آمال وادعاءات واططبار واهتياج مجانيين !! ولكم استلزم هذا
من تصورات ورغبات وضئى وسرقات ومصادفات.
لتكديس هذا الكثر المشثوم لمؤكدات منهارة، واكتشافات
عنى عليها الزمن، وجمال ميت وهذيان خامدا ! ثم كم من
هذه الأسفار أمكن فهمه بقلب أو بطموح مجنون يجعل
الانسان ينسى كل ما حوله ! هكذا يرتفع قرناً بعد قرن
صرح الأمية الهائل !!

ميفيستوفيليس : ياها من كلمة متشائمة !

التلميذ : الصمت الأبدى لهذه الكتب التى لا تحصى يخيفنى ..

ميفيستوفيليس : هيا .. لا تجعل اليأس يتسرب إلى نفسك .. أنا هنا .. قريب
منك .. قريب جداً منك .. فى كيانك تقريباً .. أنا أنت
تقريباً ..

التلميذ : لكم هى رحية هذه المقبرة الروحية .. ! كل هذه الأسفار
حتى الهزيمة .. كل هؤلاء الموتى حتى القتل ..

ميفيستوفيليس : عجباً .. إنها مغلوقة على أمرها كل هذه المجلدات يجلد العجل .. تغذى الدود .. تنتظر الحرق .. إنها هنا أشياء معدة للفناء عن كونها أعمالاً خالدة تعاني في الترك أولاً تجربة الموت البطيء .. كل شيء يتغير حول هذه الكلمات المبلورة التي لا تتغير ، والتي يحيلها أقل بقاء بالتدريج إلى تفاهة ولا معقولة وسذاجة واستغلاق ، أو مع بعض الاشفاق والحسرة ، إلى كلمات تقليدية ..

التلميذ : بقاء أو لا بقاء .. هنا المسألة ..

ميفيستوفيليس : يا عزيزي .. توجد حالة بقاء هي نفسها حالة عدم بقاء .. نخذ مثلاً ، انظر قليلاً هنا .. كل هؤلاء الشعراء ..

التلميذ : أرى ظهورهم جيداً ..

ميفيستوفيليس : إنهم صامتون جميعاً إلى الأبد .

التلميذ : إلى الأبد ! بيندار .. فرجيل ؟

ميفيستوفيليس : إلى الأبد ! إلى الأبد ! إنهم الصمت الأعظم .. لم يعد أحد في هذا العالم يحسن الشدو بأغانيهم أو التغنى بأصواتهم .. كل علمائك نسخ مهزوزة منهم ..

التلميذ : سوف يبقون بقدر ما يستطيعون .. وكل هذا الجدار هناك ؟

ميفيستوفيليس : هنا يجثم الزمن .. بعض محفوظات الزمن .. هناك تاريخ العالم . حتى أيها الشاب ! أنظر إلى البطل ومؤرخه ، كليهما ميت .. هنا تترج الأكلوبة بالحقيقة امتزاجاً قوياً أكثر

من امتزاج الموسيقى بالكلمات .. لم يعد الاسكندر أقل
تخيلاً من ثيسي ، ونابليون المساوى لهرقل ، لم يعد هذا أو ذاك
إلا ورقاً مسوداً بالمداد ، وأثرهما في الأذهان حينما وجد ومالم
يوجد يعيش أيضاً نفس اللعبة الساذجة ...

التلميذ : أحس بالاغماء .. كل هذا الخليط أمام عيني اللتين تعتقدان
أنهما تنظران الماضي .. روث قرون تتصاعد منه في كل
لحظة رائحة الندم والتأنيب والشكوك ودخان العظمة
الذي يتبدد ، والرفعة التي تنهار .. وهأنذا أرى جيداً أن
كل أدوار اللعبة تمنى بالخسران .. لكن هذا الخسران آخر
الأمر ، ليس أقل تحريكاً للمشاعر أو أقل ذيوعة من النصر .

ميفيستوفيليس : لم لا ؟ إن الحوادث زبد يذهب جفاء على سطح خضم
حاجات البشر .. ولا يستطيع الانسان أن يخرج منها
إلا ببعض كتابات ينسج حولها الطيبون من الناس ، كل ما
يروق لهم .. يتحلون الأسباب .. كدودة القز .. لكن ..
انظر قليلاً هذا الجانب الآخر .. هنا ركن الظلمة حيث
العناكب الضخمة ..

التلميذ : (متجهاً يقرأ العناوين والأسماء) هيراكليت .. المؤلفات
الكاملة .. لا يوجد غير فاوست يملك مؤلفات هيراكليت
في عشر مجلدات .. عجيبة ! ديكارت .. بحث في رثاء
العقل ! عجيبة .. لا بيتر .. لكن هذا ركن الفلاسفة ..

ميفيستوفيليس : نعم .. ركن النساك الثرثارين .. يمزجون بمائة طريقة
مألاً يزيد عن اثني عشرة كلمة ، متوهمين أنهم سيؤلفون

بها كل شيء ويفسروته .. وبهذه الطريقة يتبعون النصيحة
التي أسداها لهم أحد الحكماء ، وهي أن يعملوا على التشبه
بالآلهة ..

التلميذ : حكيم ملتو ..

ميفيستوفيليس : أشد الحكماء دهاء .. لم يفهموا أنه كان يقصد شيئاً آخر
غير التأليف الذي ما هو إلا وسيلة لتغطية ضعف المؤلف
ذاته .. يكفيهم أن يستمع بعضهم إلى بعض بما يكفي ، حتى
يثبتوا عدم اتفاقهم الذي ليس سوى علة وجودهم .
وفيما عدا هذا ، فإن لعبتهم تقوم على التظاهر بجهل ما هو
معروف ، ومعرفة ما هو مجهول .. انظر .. هناك بعض
أصول العالم والحياة .. حسب مزاجك .. لكن هناك ما هو
أحسن .. هناك المجموعة الجلييلة ..

التلميذ : أي مجموعة ؟

ميفيستوفيليس : آه .. كيف أفسر لك ؟ كل الكتب المقدسة لمختلف العصور
ومختلف الملل والنحل .. وكل كتاب منها يقرر أن جميع
الكتب الأخرى خرافات . لكن في الخلف في دائرة ظل الظل
توجد الحقائق المقدسة .

التلميذ : هذه الكتب السوداء ؟

ميفيستوفيليس : المعرفة الوحيدة التي تستحق بذل كل شيء في سبيل الوصول
إليها .. المعرفة الحقة .. إنها كتب السحر .. افتح أحدها
إذن .

التلميذ : إنها الفاكهة المحرمة .. أراك تغرر بي ؟ لكننى أسخر من كل هذه الخزعبلات .

ميفيستوفيليس : إنها المعرفة المظلمة .. لدينا هنا كثير من الأشياء الأخرى .. أعلم جيداً أن خزائن الدكتور تحوى كثيراً من الكتب .. تلا من العلوم .. أنا شخصياً أتوه فيه .. جيو هنا .. جيو هناك .. مترباً (١) .. نومياً .. لوجبياً .. جرافياً .. تيكياً .. ستيكياً .. باختصار ما تسمى به كل النباتات والحيوانات والقواقع والأصداف والأحجار والنجوم . وما يستخدم لمعرفة اللانهايات والفراغات عند الحاجة . وما يستخدم لحساب قطرات البحر وما يفيد مقدماً أن التفاحة التى تسقط لن تعود أبداً وحدها إلى الشجرة ، وما يبرهن به على أن ثعباناً ما يمكن أن يكون جداً لامرأة فاسدة وأن هذا التجول غير معقول بالمرّة .. ثم ..

التلميذ : كفى كفى .. تسقط الكتب ! كلها .. لوجياً .. وجرافياً .. ونومياً .. إلى الشيطان كل هذه الأشتات

ميفيستوفيليس : لا فائدة .. الشيطان لا يريد شيئاً من هذا ..

التلميذ : إن رأسى ليدور أمام جبل روث العقل هذا .. كيف يصل الانسان إلى قمة جبل بهذا الشكل .. ! هأنذا يائس .. أهرب .. أتخلى ..

ميفيستوفيليس : هلم إلى .. هأنذا .. أقول لك هأنذا .. قريب منك .. جداً .. فى كيانك تقريباً

(١) إشارة الى المقاطع الاولى أو الاخيرة من الاسماء العلمية مثل جغرافيا وجيولوجيا وطيوغرافيا .. الخ

التلميذ : هل قرأت كل هذا ؟

ميفيستوفيليس : أنا ؟ لا أعرف القراءة

التلميذ : في مثل سنك ؟

ميفيستوفيليس : على أيامي لم يكن أحد يفقه القراءة .. كان الناس يحزرون ..

لهذا كانوا يعرفون كل شيء .. وعلى أى حال فقد جنيت
أنا شخصياً فائدة كبيرة باستعاضتي عن معرفة الكتب
نفاذى الداخلى إلى كيان مؤلفيها .. كل هؤلاء الكتاب لهم
خفاياهم الطموحة ومعاييرهم الباطنة وخباياهم ونواياهم
السيئة وتشككهم في الخطورة المهددة لسرقيتهم الدائمة ..
هذه موعظة بليغة أعظك بها .

التلميذ : لا لا .. إننى أترنح تحت وطأة عبء كل هؤلاء الآخرين
الذين أرادوا لأنفسهم ما أريد .. والذين استطاعوا ..

ميفيستوفيليس : لكن لا .. لكن لا .. أنا معك .. تقريبا في كيانك ..
اصنع إلى .. أنا نيتك الخالصة .. أنفذ إليها وأثرها بتجربتي ..
اصنع إلى .. كل هؤلاء الآخرين ما عادوا شيئا .. أصبحوا
هنا كتلة ظلال لا طائل تجتهدا وأنت الوحيد الحى تماما ..
أنت اللحظة نفسها تقف على قدميك أطول من جسدك
المزهو ومن رأسك الممتلئ قوة ، أنت تتحدى كل هذا ..
أربعون قرنا من الكتابة تحسدك .. تشجع .. أشعربأنك
أمير هذا اليوم .. لا شيء يفوق قوة الانكار والاحتقار
وطاقة الكبرياء البكر التى ترتفع في قلب شاب طموح

لم يفعل شيئاً بعد .. أية قوة هذه في عدم فعل شيء !
تعرف جيداً أنه لا شيء أكثر جمالا من الشيء الذى
لم يوجد .. هاهاها ! هل تشعر بهذا .. هية .. ؟ لا يوجد عمل
عظيم دون أن يكشف بسرعة للعين الحاسدة عن كثير من
الشرور والنقائص ونقط الضعف حتى لا يئأس من الشهرة
إلى الأبد هاو جديد .. اصغ إلى : كل هذا الماضى بمعجزاته
المستهلكة البالية المحزنة لا حول له ولا طول تجاه بداية
ازدهار عبقرية تستحصد .

التلميذ : أعتقد جيداً انك تغرينى .

ميفيستوفيليس : ولم لا .. ؟

(فى بداية نهاية هذا المشهد بشاهد ميفيستوفيليس أثناء
حديثه يقفز هنا وهناك كالقط المتوحش حول التلميذ) .

التلميذ : (لنفسه) هذا المخلوق يحفزنى على الحرب أو خنقه .

(بصوت مرتفع) قل لى .. أليس يمثل هذا أو بما يشبهه
شدا فاوست بهذه الكلمات المشهورة التى يحفظها كل
الناس عن ظهر قلب ؟

(ينشد) .

قرأت واحسرتاه الفلسفة ..

والطب والفقه ..

واللاهوت لسوء الحظ ..

تبحرت فيها بجهد جهيد ..

ميفيستوفيليس : شىء يتعلق بكم .. سواء قاله أو لم يقله .

التلميذ : هل تعرف البقية ؟

ميفيستوفيليس : البقية ؟ ها ها ها .. لكن البقية .. يمكن أن تكون أنت وأنا ،

التلميذ : ماذا ؟ أنت وأنا ؟ أنا وأنت ؟

ميفيستوفيليس : ألا تريد أن تصبح مثل فاوست ؟ تسيطر على الروح بالروح ؟

فقط. تتوقف المسألة على معرفة أى روح وأى روح ..

وأى هاتين الروحين تسيطر وأيهما يسيطر عليها .

التلميذ

نعم .. لا تؤاخذنى .. بدأت أو من .. أو من أكثر فأكثر

بأذك تلهبى كى تخدعنى .. أنت تتفوه بعبارات مبالغ فيها

لا ينقصها الغموض والظلام. أنت تقدم لى وعودا ربما تصبح

مزعجة لروحي أولروحك إن لم أرفيها غير نوع من أنواع

الدعابة يتسع نطاقها على حسابى وتمتد .. النهاية ،

يا سيدى .. أنا حتى الآن لم أتشرف بمعرفة محمدى ..

ما اسمك ؟

ميفيستوفيليس : عجباً .. لا أعرف .. إنهم الآخرون يا سيدى هم الذين

يعطوننا اسما . لا يمكن أن يعطى انسان نفسه اسما .. هيه ؟

ما اسمى ؟ أنا لم أعط نفسى اسما بعد .. يسمونى كما يحلو لهم .

أنا كما قلت لك خادم الخدم أنفسهم والناس يخلعون على

خدامهم الأسماء التى تعجبهم .. كل واحد من منادى

ينادىنى بطريقته .

التلميذ : وإذا سميتك شيطانا مادمتا تمثل قصة فاوست ؟

ميفيستوفيليس : قليكن .. شيطان.. أنا تحت أمرك .
(يرتسم ظل الشيطان الضخم على الحائط) .

التلميذ : أنت ! الشيطان !

ميفيستوفيليس : لكم أنت بطيء الفهم جداً يا صديقي الشاب !
(يختفي ميفيستوفيليس ويظل ظله بعض الوقت في
مؤخرة المسرح) :

ميفيستوفيليس : (بصوت آت من القاع يردده الصدى) إلى اللقاء .. لقاء ..
لقاء .. لقاء ..

(يلقي التلميذ بكتاب ضخم ناحية الظل الذي يختفي وتضعف
الإضاءة ويعود المسرح إلى ما كان عليه في بداية الفصل) :

المنظر السادس

التلميذ وحده

(يروح ويجيء في ربكة عنيقة) .

التلميذ : في داهية أيها الشيطان القلر .. اذهب إلى نفسك .. احمل
نفسك بنفسك ! يا له من مترل هذا المترل .. كلهم مجانين ..
كنت آتيا لأستضيء هنا بنور الحكمة .. البيت نفسه مجنون ..
هنا النوم لذة .. اليقظة كابوس ..
(يجلس) .

المنظر السابع

التلميذ - لوست

(تدخل لوست بمصباحها وبعض الكتب التي تريد إعادتها
إلى أمكنتها .)

التلميذ : (واقفا في احترام) آنتى .

لوست : ألا تزال هنا ؟ وحده ؟

التلميذ : شكراً لله .. الإنسان هنا الا يعرف ما إذا كان بمفرده ..

لوست : إنها مسألة إحساس .

(صمت) .

التلميذ : ربما تبحثين عن كتاب .. يا آنتى ؟ لا تلمى شيئا ..
احذرى الروح .

لوست : ليست الروح هي التي أخشاها .. كنت آتية فقط لاعادة
هذين الشاعرين أو الثلاثة إلى أماكنهم (تنظر برهة إلى
التلميذ) يحسن أن تذهب لتستريح يا سيدى .. الوقت
متأخر .

التلميذ : أنها الساعة التي يجب أن تكون ..

لوست : الساعة التي يجب أن تكون ؟

التلميذ : الساعة التي يجب أن تكون كي تصير الكائنات التي يجب
أن تكون مع بعضها مع بعضها .. من أجل هذا جاء بك
أمر ما إلى هنا ..

- لوست : الوقت متأخر يا سيدى .. متأخر جداً ..
- التلميذ : إرأى بحالى يا آنسى .. عندى أشياء كثيرة أريد الإفضاء بها اليك .
- لوست : لى أنا ؟
- التلميذ : لك أنت .. إلى من إذن أستطيع الإفضاء بمكنونات صدرى؟ إن عقلى يذهب .. ولا يوجد سواك هنا .. أنت المخلوق البشرى الوحيد هنا .. حياة ماثلة .. إنسانة حقيقية .. حلوة .. فى هذا البيت الذى لم أر فيه غير الغيلان منذ أن وطئته قدماى .. لقد جمعدنى رجلك فاوست .. جئت هنا مملوءاً بالإيمان .. وجدت نظرة .. صوتاً ..
- لوست : نظرة ساحرة .. نظرة أكثر اتساعاً من كل ما يستطيع رؤيته الانسان ..
- التلميذ : لكن بالنسبة لى .. أحالتنى هذه النظرة إلى سقط متاع .. ردتنى إلى نموذج بدون أية قيمة بشرية .. إلى حيوان ناطق .. أنا الذى حملت اليه قلبى ..
- لوست : آه لو كنت تعرفه .. معرفته جيداً تجعل الانسان يفهم تماماً أنه لا يستطيع الحكم عليه .. إنه عظيم جداً .. يحتاج تماماً إلى عقل عميق جداً .. كامل جداً .. عقولنا لا تستطيع تعليمه شيئاً أو اعطاءه شيئاً ..
- التلميذ : هذا واضح .. لكن قلت لك أننى كنت أحمل اليه إيمانى .. أملى .. رغبتى الجامعة فى أن أجعله يحس بكل ما أحدثته

عبقريته من أشياء جميلة في شاب .. بعد كل هذا .. أأست
أنا شخصيا عملا من أعماله .. أنا أيضا ؟ لكن هذا الرجل
لم يعد أهلا لأقل شعور .

لوست : هو .. ؟ لكن .. آه لو كنت تعرفه .. مادة مشاعرنا
تحولت فيه إلى نور .. هو ! لكن مشاعر هذا المخلوق العجيب ،
أنا متأكدة من هذا .. متأكدة تماما .. أصبحت ذات نبرة
أسمى بكثير من المشاعر المألوفة .. حينما يكون الإنسان
آراء معينة ويعيش بينه وبين نفسه مع عدمية الأشياء
وكليتها في آن واحد .. لكن ياسيدى .. لديه طبيته الرفيعة
ورقته .. على طريقته الخاصة .

التلميذ : هو ؟

لوست : نعم .. أنا متأكدة .. متأكدة تماما .. رفته ! نعم .. لكنها
رقة غامضة تصدر عن عبقرية غريبة هي بالنسبة لها كالعطر ..
ربما يبدو هذا غريبا .. وإذا كان قد بدا لعينيك باردا ،
ثامها كالشارد ، فما ذلك إلا للداع عنده ، أولفكرة سامية
في رأسه .. كيف تظن أن يكون هذا الإنسان العالمى ناقصا ..
وأن ليس له دموعه وانطواؤه العجيب ؟

التلميذ : عجباً .. لكم تعرفينه جيداً .. لكن الثانى .. !

لوست : الغول ! آه ياسيدى .. رأيته منذ قليل تحت سطوته !
كنت نائما تحت يده وارتجفت من أجلك .

التلميذ : من أجلى أنا ؟ يالك من إنسانة .. الانسانة الوحيدة بين

كل هذه الغيلان وعوالمهم الثانية التي تبعث المخاوف ...
وهي ليست إلا مخاوفنا لأنني انتهيت إلى الخوف ..

لومت : هذا كل ما يستطيع الغول فعله .

التلميذ : نعم .. داعبني في البداية .. لا طغنى .. غرر بي .. كان
يلعب بالفأر. وبعد ذلك شعرت بفرع قوة لا قبل لي بها..
وعدني بكل شيء وحطم كل شيء .. قدم كل شيء
وابتلع كل شيء .. أرائي كل هذه الكتب..أوه حسني ..
حسبي من العقل ..

لومت : أبداً .. ليس حسبك ..

التلميذ : عرض على كل شيء .. ومن بين ما عرضه على من هذه
الخيرات التي كان يدعى الحصول لي عليها لو أنني
أصغيت إليه ، شيء واحد يبدو لي الآن أنه الوحيد ..
لومت : الوحيد ؟ ماهو هذا الخير من كل هذه الخيرات ؟

التلميذ : خير أراه .

لومت : وأي خير ترى هنا ؟

التلميذ : أراك ..

لومت : لا .. أنت لا تزال تحلم ..

التلميذ : أحلم وأصحو .. وأصحو وأحلم .. أرى ما أريد ..
وأريد ما أرى .. أليس هذا توافقاً متبادلاً ، لو اغمضت
عيني أو أفتحها فأنت هنا .. أنت ذاتك .. ذاتك .. وانت ..
أنت وذاتك .. هل تسمعينني ؟

لوست : أنا ؟ غريبة .. لكنك لا تعرفني قط .. ها أنت بالكاد ترائي .

التلميذ : لكنني عرفتكَ جيداً في الحال حتى أنني أستطيع وصفكَ في كلمتين ..

لوست : أنت عجول يا سيدي .. مجرد نظرة واحدة تكفيكَ للوقوف على دخائل المخلوقات .. !!

التلميذ : ليست الكائنات الأخرى ! ماذا أفعل بالمخلوقات الأخرى ! لكنك أنت ! أنت .. أنت شفاقة بالنسبة لي ..

لوست : (ضاحكة) أنت أيضاً ! شفاقة ؟ بالنسبة لك أيضاً .. إذن خبرني .. ماذا تعرف عني ؟

التلميذ : يا آنسي التي أكاد أن أكون رأيتها وسمعتها والتي لا أعرف حتى اسمها أو أي شيء عنها ...

لوست : اسمي لوست ..

التلميذ : لوست .. يا له من اسم ساحر ! لوست .. أوه .. فلأحب هذا الاسم الحلو .. لوست .. أوه .. لوست .. أقول لك هذا كما أحسه بقوة ، أنت

لوست : خذ حذرَكَ ..

التلميذ : أقول وأرى وأحسن أنك بكل بساطة عكس ذلك المخلوق الدنيء السام الماكر الذي أمسكني هذه الليلة فريسة لعروضه المسممة ..

- لوست : أنا عكسه ..؟ غريبة !
- التلميذ : نعم بالضبط .. العكس تماما ..
- لوست : لكنى لست ملاكا ..
- التلميذ : آمل هذا تماما .. فليس للملائكة قد أو عيون مثل هذه العيون أو صوت مثل هذا الصوت .. كما ليس لهم قلب يدق هلعا أو يخفق رحمة من أجل النائم الغريب .. لكن أنت .. افترى لى (صمت) اصغى لى جيداً .. يا آنسة لوست .. إنه لأمر خطير .. أوكد لك وأؤكد لنفسى لى لا أستطيع أبداً التفكير إلا فىك .. أبداً .. إلا فىك ..
- لوست : (وكأنها تحدث نفسها) هذه تماماً نصائح الوحش ..
- التلميذ : أوه يا آنسى .. يا آنسى .. أنت قلت أنك الوحيدة التى تستطيع إزالة الذكرى البشعة من عقلى .. قلت هذا ..
- لوست : لا تؤاخذنى .. لكن ما الذى وسوس به الشيطان اليك؟
- كى يضيعنا نحن الاثنين معا ؟
- التلميذ : قلت هذا .. فكرى .. ارا فى بحالى كما كنت ترأفين منذ قليل .. فكرى فى هذا اليوم الفظيع الذى عشته وفيما قاسيته .. هذا الفاوست الذى خيب أملى وجرحنى وأسلمنى لى العدم .. والثانى الذى استجوز على نفسى بمكره وختله ولف كل أسبابى من أجل الحياة .. لكن أنت .. أنت .. السبب الوحيد .. أنت الحياة ..

أنت الانسانة .. أنت توأم نفسى .. أختى .. أحسن
من أخت .

(يريد تناول يدها بين يديه ، لكنها تدفعه برقة) .

لوسث : خذ حذرک من الحب يا سيدى .

التلميذ : لا .. لن آخذ حذرى منه .. وسأدع نفسى تحب .. أحبك ..

لوسث : فلنأخذ حذرنا من الحب .

التلميذ : تقولينها أيضاً .. لكن هذا الإسم الجميل المخلوق للحب
ما هو إلا أغنية على شفتيك .. إنه يحرك كيانى نحو قوة
هذه الأغنية .

لوسث : نعم .. فلنأخذ حذرنا .. إننى أعرف جيداً ما هو الحب ..
إنه خير يودى إلى الشر .. الشر الكبير ..

التلميذ : تعرفينه .. إذن فأنت تحبين شخصاً ما ؟

لوسث : لا أدرى .. إذهب . أرح نفسك يا سيدى .. أنا ميتة من
التعب ..

(تهم بالخروج) ..

التلميذ : ترحاين ؟ آه .. هل تغنين أننى سأنام بعد لقاءات هذا اليوم
الثلاثة .. لكن هذا اللقاء يقضى على

(يجلس كمن أرهق) .

لوسث : إسمع يا صديقى .. يا صديق ليلة يتيمة .. إسمع .. لا أظننا
خلقنا أحداً للآخر .. أنا متأكدة من هذا ومن المستحسن

أن أصرح لك به .. أليس كذلك ؟ وجدتتك صادقا
بسيطا صريحا .. إن براءتك وحديثك قد استحوذا على نفسي ..
ثق انني تأثرت جداً .. نعم .. ترى كل شيء في يرضيلك ..
لكن هذه الرؤية رؤيتك .. تقول انني إنسانة . ولو أحببتك
بأن بي شيئا غامضا على أنا نفسي ، ولا شيء .. لا شيء ..
انساني يستطيع ارضاءه .. انك تعجبني .. لا تتحرك ..
آه لو لم يكن في هذا العالم إلا ما يقدمه العالم لكل الناس ..
وددت حقاً أن أكون تلك التي تستطيع الاستجابة اليك
خلافاً لما لم أعوده .. سوف تجد قريباً واحدة .. بالتأكيد ..
إفقد في هدوء كل أمل هنا .. إن الملك يؤلمني (تضع
وجهها بين يديها) أنت حزين يا صديقي ..

التلميذ : ترفعين الكلفة بيتنا ؟

لومست : لكي أقول لك وداعا ..

(تخرج مندفعة) .

التلميذ : ها أنت ترديني إلى الشيطان !

(مستار)

فهرست

صفحة

| | | |
|----|--------|--------------------------------|
| ٧ | | كلمة في الموضوع |
| | | مقدمة - بقلم : عبد العاطى جلال |
| ٩ | | فاوست |
| ٢٢ | | فاوست مارلو |
| ٢٤ | | فاوست - بول فاليرى |
| ٣٣ | | فاوست |
| ٣٥ | | توزيع الأدوار |

الفصل الأول

| | | |
|----|--------|---------------|
| ٣٧ | | المنظر الأول |
| ٥٢ | | المنظر الثانى |
| ٧٠ | | المنظر الثالث |

الفصل الثانى

| | | |
|-----|--------|---------------|
| ٧٥ | | المنظر الأول |
| ٨٣ | | المنظر الثانى |
| ٨٤ | | المنظر الثالث |
| ٨٧ | | المنظر الرابع |
| ٨٩ | | المنظر الخامس |
| ١٠٤ | | المنظر السادس |

الفصل الثالث

| | | | | | | | | | | |
|---------------|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|
| المنظر الأول | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ١٠٧ |
| المنظر الثاني | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ١١٦ |
| المنظر الثالث | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ١١٩ |
| المنظر الرابع | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ١٢٩ |
| المنظر الخامس | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ١٣٣ |
| المنظر السادس | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ١٥٤ |
| المنظر السابع | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ١٥٥ |

ظهر في هذه السلسلة

| المترجم | المؤلف | المسرحية |
|--------------------------|-----------------|--|
| د . محمد غنيمي هلال | مارسيل ايميه | ١ - رأس الآخرين |
| د . يحيى سعد | جان آنوى | ٢ - التوحشة |
| محمد متحجوب | برناردشو | ٣ - القديسة جون |
| د . محمد اسماعيل المواقى | نورنتون وايلدر | ٤ - بلدتنا |
| محمد اسماعيل محمد | لويجى بيرندللو | ٥ - الليلة نرحل والجرة |
| د . عبد الغفار مكاوى | برتولد برخت | ٦ - الاستثناء والقاعدة محاكمة لوكولوس |
| بسيم محرم | الير كامى | ٧ - العادلون |
| د . ريمون فرانسيس | يوجين أونيل | ٨ - سبع مسرحيات |
| د . نعيم عطية | فريدريش درنمات | ٩ - رومولوس العظيم |
| انيس منصور | جورج بوشنر | ١٠ - ليونس ولينا ، فويسك |
| د . عبد الغفار مكاوى | جون هوايتنج | ١١ - الشياطين |
| محمود محمود | تيسى وليامز | ١٢ - قطة على نار |
| د . محمد سمير عبد الحميد | اليخاندر كاسونا | ١٣ - مركب بلا صياد |
| د . محمود على مكي | جورج ثيوتوكا | ١٤ - جسر آرتا «الثلث الفادح» |
| د . نعيم عطية | جايلاز كوبر | ١٥ - ارض النفاق « كل شيء في الحديقة |
| د . محمد اسماعيل المواقى | بيشا بنتى | ١٦ - الحب الحرام «المنسة» |
| د . علي احمد محمود | مولير | ١٧ - مدرسة الأزواج سجاناريل |
| د . عطية هيكل | لويجى بيرندللو | ١٨ - هنرى الرابع |
| د . حسن سيد عون | آرثر ميلر | ١٩ - بعد السقوط |
| محمد اسماعيل محمد | برناردشو | ٢٠ - الميجور باربارا |
| علي شلش | برتولد برخت | ٢١ - السيد بونتيللا وتابعه ماتى |
| احمد النادى | جان آنوى | ٢٢ - بيكيت « شرف الله » |
| د . عبد الغفار مكاوى | بول فاليرى | ٢٣ - فاوست كما أراه |

تحت الطبع في هذه السلسلة

| المترجم | المؤلف | المسرحية |
|--------------------------|---------------|------------------------------|
| د . طه حسين | راسين | اندروماله |
| د . على حافظ | ايسخيلوس | المستحيرات |
| د . على حافظ | يوريبيديس | المستحيرات |
| د . محمد محمود السلاسون | يوريبيديس | هيكابى |
| الشاعر احمد رامى | شكسبير | روميو وجوليت |
| د . فنيهمى هلال | موليير | عبد البشر |
| د . لويس مرقص | اونيل | الحداد يليق بالكثرا للاية |
| د . فخري قسطندي | | |
| محمد اسماعيل محمد | بيرنداللو | حسب تقديره |
| د . اخلاص عزمى | برناردشو | قيصر وكليوباترا |
| د . طه محمود طه | تشايبك | « الانسان الآلى » |
| الشاعر صلاح عبد الصبور | ت . س . اليوت | او ا.د.ا |
| نعيم جاب الله | جون اسبورن | حفلة كوكتيل |
| محمود محمود | وليم سارويان | لوثر |
| د . نعيم عطية | كازاند زاكيس | متعة العيش |
| د . محمد اسماعيل الموالى | يوجين اونيل | مطيل يعود |
| د . لويس عرض | ايسخيلوس | الفوريللا |
| الشاعر محمد أنعم | اوديتس | اجامنون |
| د . محمد سمير عبد الحميد | تنيسى وليامز | في انتظار اليسار |
| يحيى سعد | جان آنوى | اورفيوس هابطا |
| د . وليم الميرى | سارويان | روميو وجانيت |
| شفيق مقار | كريستوفر فراى | انشودة الحب العذبة |
| د . لويس عرض | وليم شكسبير | العنقاء ، السيدة ليست |
| نجيب سرور | تشيكوف | للحرق |
| فتوح نشاطى | بومارشيه | أنطونيوس وكليوباترة |
| أنور فتح الله | | بستان الكرز |
| حكمت عباس | شريدان | زواج فيجارو |
| د . مصطفى ماهر | جوته | مدرسة الفضائح |
| | | نزوة العاشق ، الشركاء |

تحت الترجمة لهذه السلسلة

| المترجم | المؤلف | المسرحية |
|--------------------------|---------------|------------------------|
| د . عبد القادر القط | شكسبير | عطيل |
| يحيى حقى | موليير | دون جوان |
| يحيى حقى | موليير | سائر مسرحيات |
| د . على حافظ | اليونانية | سائر المسرحيات |
| د . محمد محمود السلامونى | اليونانية | سائر المسرحيات |
| د . فؤاد زكريا | البر كامى | حالة الحصار |
| اسماعيل المهدي | البر كامى | المسوسون |
| د . فؤاد زكريا | جان بول سارتر | الجلسة سرية |
| د . شوقي السكرى | جون اسبورن | شهادة لا تقبل |
| د . شوقي السكرى | جون اسبورن | سائر مسرحيات |
| د . عبد الله عبد الحافظ | ابسن | بيت آل روزمر |
| نعمان عاشور | براندين بيهان | الشاد |
| د . عادل سلامة | براندين بيهان | الرهينة |
| د . فؤاد زكريا | كلوديل | جان دارك |
| الشاعر صلاح عبد الصبور | ت . س . اليوت | جريمة قتل في كاتدرائية |
| د . محمد قندل | هارولد بينتر | وكيل العمارة |
| د . وداد حماد | هارولد بينتر | مسرحيتان |
| عبد الله فريد | شيلا ديلاى | الذى أوله غسل |
| أميمة أبو النصر | روبرت شروود | متعة الأبله |
| رمسيس يونان | جان بول سارتر | الشیطان والرحمن |
| د . أنيس فهمى | أرمان سلاكرو | ليالى القصب |
| د . شوقي السكرى | وليم شكسبير | هملت |
| د . عبد الغفار مكاوى | جوته | ناسو |
| جرجس الرشيدي | برناردشو | بجماليون |
| د . سامية أحمد أسعد | البر كامى | سوء التفاهم |
| محمود صابر | برناردشو | اندروكليس والاسد |

تحت الترجمة لهذه السلسلة

| المترجم | المؤلف | المسرحية |
|---------------------------|-------------------|-----------------------|
| د . عوض جرجس | الكسندر كورنيشتوك | بلاتون كرتشيت |
| د . جمال الدين الرمادى | تنيسى وليامز | سبع مسرحيات |
| دولت محمد حسن | كلوديل | مجنونة شاو |
| سمير كرم | ماكسويل اندرسون | حالى القدمين فى ائينا |
| د . فهمى فوزى فرج | و . ب . بيتس | ثلاث مسرحيات شعرية |
| الشاعر عبد الوهاب البياتى | تشيكوف | طائر البحر |
| سعد زهران | دوريس لسنج | كل يتخط |
| اسماعيل المهدوى | مارسيل ايميه | الرجل والمرأة |
| على عطية رزق | البر كامى | كاليجيولا |
| د . زاخر غبريال | وليم شكسبير | القصاص |
| سعد الدين آوفيق | برناردشو | مهنة مسز وارين |
| د . محمد عواد العسيلي | جون وبستر | الشیطان الابيض |
| على شلش | ادوارد البى | اربع مسرحيات |
| د . أبو بكر يوسف حسين | مكسيم جوركى | البورجوازيون |
| فاطمة على نديب | مارسيل بائيول | قيصر |
| مجد الدين حلقى ناصف | برناردشو | منزل القلوب المحطمة |

اقرا في هذه السلسلة لهؤلاء العمالقة :

| | | |
|------------|---------------|--------------|
| استيلاوس | ايسن | دورنات |
| سوفوكليس | برناردشو | جان انوى |
| يورپيديس | ت.س. اليت | ارثر هيلر |
| ارسطوفانيس | تشيكوف | البير كامى |
| شكسبير | لويجى برنيللو | تنسى وليامز |
| مارلو | يوجين اونيل | جون اسبون |
| مولير | وايلدر | براندن بيهان |
| راسين | جان پول سارتر | اوكتيى |
| شيرلان | برخت | جايلز كوبر |

وكتيرون غيرهم

كارل تشايك

الانسان الالى

العدد القادم :



للمدار القومية للطباعة والنشر

في هذا العدد :

فاوست

تدور أحداث المسرحية حول فاوست العالم ابن القرن العشرين الذي احاط
علما بكل ما انتجه العقل البشري . ولم يجد فيه كله ما يروى غلته . فنقل الى
علوم السحر ، واستحضر رئيس الجن واتخذ له خادما له . فجاب آفاق الكون
دون ان يظفر بما يريد .

وتفتر علاقتهما ويذهب الشيطان من حيث أتى ، ويجلس فاوست نفسه في داره
محطم القلب حائرا في كنه الخلق وأسرار الحياة والموت . ويمضي الزمن حثيثا ،
فيجلس فاوست في النهاية الى سكرتيته الجميلة لوست يملك عليها مذكراته .
اثناء ذلك يدس له الشيطان بين الاوراق عنسوانا مشرا ليلذكره بشيطانه ،
ويحس فجأة انه في ميسس الحاجة اليه طالما هو محترق شوقا الى المعرفة .
ويوافيه الشيطان في غمضة عين ويوقع الاثنان عقدا يتنازل فيه أحدهما للآخر عن
كينونته الى حين . .

وفى منزل فاوست يحاول الشيطان أن يربط بالحب الحرام بين قلب فاوست الجميلة وقلب تلميذ شاب جاء لينهل من علم فاوست . ولكن هيهات فهي قد أحبت فاوست لعلمه وفكره . وهكذا تمضى المسرحية فى شاعرية وحيوية حتى ما قبل الخاتمة التى لم يشأ المؤلف أن يضعها للمسرحية ربما عن قصد .

المرجم : عبد العاطى جلال - سكرتير الفنون بمجلس الفنون والآداب .

★ ★

في العدد القادم :

الانسان الالى ((او)) ١.٠ ر. ١

لم تعد اليوتوبيا العلمية مجرد حلم يراود خيال الانسان في القرن العشرين
وانما أصبح التقدم العلمى والتكنولوجيا يساعد كل يوم على تحقيقها . لاكتف
الخيال اليوتوبى بتحقيق الفردوس الأرضى بل يتعداه الى التحكم فى نو
الذى سيعيش فيه . وفى مسرحيتنا صورة لما يمكن أن يحدث لو تم
فى تطبيق نظرياته ، فنرى فيها الانسان العالم الذى يريد أن يحاكى الآ
وينجح فى تركيب انسان آلى وفى انتاجه بالجملة . وتثور هذه الآلة الآ
فى النهاية على البشر وتقضى عليهم وتستولى على الحكم فى جميع أنحاء
وتؤسس حكومة الانسان الآلى الوحيد الباقى على ظهر الأرض لاكتش
لتزايدها بعد أن احترق مخطوط اختراعها الأصيل . والمسرحية فرد
لأنها أولا : أول مسرحية تعالج هذا الموضوع فى الأدب الغربى وهى
كلمة Robot أو الانسان الآلى فى عديد من اللغات ، وثانيا : لأنه
اليوتوبيات العلمية الأخرى فهى لا تصور حلما يريد الكاتب أن يحققه
يريد أن يحدونا منه .

الترجم : دكتور طه محمد طه - مدرس الادب الانجليزى بآداب عين شمس